Journal of Arabic Language and Literature
Volume (1), Issue (4): 30 Sep 2022
P: 78 - 107
ISSN: 2790-7317
مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (4): 30 سبتمبر 2022 م
ص: 78 - 107

The critical movement around the poetry of Omar bin Abi Rabiah

Aya Mohammad Atiyeh
International University of Islamic Sciences

Abstract: This study was concerned with tracking the critical movement around the poetry of Omar bin Abi Rabiah and the development of the critical approach starting from the Umayyad era until the fifth century AH.

The researcher monitored the dynamic changes in the monetary movement during the two periods of psychological transition, which contributed to the formation of the poetic environment of Omar bin Abi Rabiah. Based on that, the researcher stopped at the two stages of poetic formation represented in the periods of youth and old age. Also, this study concluded that the poetic movement of Omar bin Abi Rabia was affected by the temporal trajectory of his poetry, as it revived in the youth period after achieving harmony between the poet's psychological inclinations and the requirements of the environment at that time.

Whereas, due to the imbalance of the harmony, it relapsed in the aging period..

Keywords: Omar bin Abi Rabiah, Arabic poetry, criticism.

الحركة النقدية حول شعر عمر بن أبي ربيعة

آية محمد عطية
جامعة العلوم الإسلامية العالمية || المملكة الأردنية

المستخلص: عنيت هذه الدراسة بتتبع الحركة النقدية حول شعر عمر بن أبي ربيعة، وتطور النهج النقدي بدءًا من القرن الثاني وحتى القرن الخامس الهجريين، وقد عمدت الباحثة لرصد التغيرات الديناميكية في الحركة النقدية خلال فترتي التمرحل النفسي، التي أسهمت في تشكيل البيئة الشعرية لعمر بن أبي ربيعة، وعليه فقد وقفت الباحثة على مرحلتي التشكل الشعري المتمثلة في فترتي الشباب والشيخوخة، وتوصلت إلى أن الحركة النقدية حول شعر عمر بن أبي ربيعة قد تأثرت بالمسار المرحلي الزمني لشعره، حيث انتعشت في فترة الشباب، إثر تحقق الانسجام بين الميول النفسية للشاعر، ومتطلبات البيئة آنذاك، بينما انتكست إثر اختلال ذلك الانسجام في فترة الشيخوخة.

الكلمات المفتاحية: عمر بن أبي ربيعة، الشعر العربي، النقد.

مقدمة.

لقد اتصلت الحركة النقدية بالأدب شعره ونثره اتصالًا وثيقًا، فكانت المؤثر فيه والمتأثر به في آنٍ معًا، حيث إن ازدهار الحركة النقدية وانتعاشها، يؤدي بشكل مباشر إلى إنعاش الحركة الأدبية من خلال تقييمها وتقويمها، وحثها على السير قدمًا نحو التجديد والتقدم، بإضافة كل ما هو جديد على ما تأصل منه، ولا ينكر ما لهذا الأدب من دور في تحفيز الحركة النقدية، واستثارتها بما تؤججه من نار الخلاف بين النقاد، لا سيما هؤلاء الذين يحتكمون إلى الذائقة العامة لديهم.

عنيت هذه الدراسة بتتبع آراء النقاد القدماء في شعر عمر بن أبي ربيعة، ورصد التغيرات الديناميكية في الحركة النقدية لديهم في شعره، بدءًا من العصر الأموي، وحتى القرن الخامس الهجري، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن صورة عمر بن أبي ربيعة، ومكانته الشعرية لدى النقاد القدماء، وتبيان أثر المسار الشعري لعمرعلى سير الحركة النقدية وتقدمها، وتعد هذه الدراسة محاولة جادة لرصد المواقف النقدية لدى النقاد القدماء، وتتبعها ضمن المسار الزمني، الذي يتجه بها نحو القرن الخامس، ورصد مدى تأثرها بالمسار الشعري لعمر بن أبي ربيعة، وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تباين المواقف النقدية، وتعارضها بين المنظور الشخصي والمنظور الشعري من جهة، والكشف عن الصورة المرحلية، التي تشكل فيها شعر عمر، والآراء النقدية من حوله.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من حيث مزجها بين التحليل النفسي، وأثره في التشكيل الشعري، وبين التتابع الزمني للتحليل النقدي لشعر عمر بن أبي ربيعة، إذ لم تقف الدارسة على دراسة مستقلة، تجمع بين الأمرين على النحو الذي تمثلت به هذه الدراسة، في حين رصدت عددًا من الدراسات المختلفة، التي كان منها ما تناول شخصية عمر بن أبي ربيعة، ومنها ما تناول الآراء النقدية التي شاعت حول شعر عمر، ولعل أبرزها:

1- فاطمة الشمري (2010)، **الغزل الحجازي الحضري في العصر الأموي دراسة في البنيوية التكوينية**، وهي دراسة عرضت بشكل موسع لصورة المرأة في شعر الحجاز، وأثر البيئة في تشكيل تلك الصورة.

2- ممدوح الجزولي (2010)، **صورة العصر في شعر عمر بن أبي ربيعة**، وهي دراسة تناولت أثر الثراء في شعر عمر بالإضافة إلى صورة المرأة فيه.

3- حكمت إبراهيم عيسى (2002)، **نقد بعض أصحاب كتب النقد العربي القديمة لشعر عمرو بن أبي ربيعة**، وهي من الدراسات التي لم تتمكن الدارسة من الوصول إليها.

لقد كان لهذه الدراسات فضل كبير على هذه الدراسة في مختلف محاورها، غير أنها تميزت عنها بما اختصت به من دراسة لشخصية عمر وشعره، من خلال تبيان أثر المسار النفسي في تشكيلهما، ورصد المواقف النقدية التي أخذت على عمر في شخصيته، وفي شعره من خلال تتابع زمني، وهرمي ثقافي.

وقد سارت هذه الدراسة على المنهج التحليلي، حيث قامت من خلاله باستقراء الآراء النقدية من مصادرها، وتحليلها، وتبيان أثرها في تشكيل شعر عمر بن أبي ربيعة، كما قامت بتصنيف النقاد تبعًا للتشكيل الهرمي لثقافتهم النقدية من جهة، وترتيبهم الزمني من جهة أخرى، وبنيت هذه الدراسة على مبحثين، وأربعة متطلبات موزعة على النحو الآتي:

1- المبحث الأول: التشكيل البيئي لشعرية عمر من منظور النقاد القدماء، وقد اختص بدراسة شخصية عمر بن أبي ربيعة وآراء النقاد فيها.

2- المبحث الثاني: تشكيل البناء النقدي لشعرية عمر، واختص بتتبع آراء النقاد القدماء حول شعر عمر.

وقد استندت الدارسة على عدد من المصادر والمراجع، التي كان لها بالغ الأثر في بناء هذه الدراسة، وفي تقديم المعرفة، والثقافة للدارسة، وكان الله المعين والموفق.....

الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول- التشكيل البيئي لشعرية عمر بن أبي ربيعة عند النقاد القدماء

إن للبيئة الخارجية، بشقيها الزماني والمكاني، أثرًا بالغًا في صقل الشخصية الإنسانية على المنحى النفسي والمادي، إذ تعد البيئة الزمكانية، من أبرز العوامل التي تسهم في تشكيل الملامح الجمعية العامة للشخصية الإنسانية، كما تسهم في تشكيل البيئة الداخلية الفسيولوجية، التي من شأنها تكوين ملامح الاختلاف، والتفرد التي

تنجم عنها عمليات الإبداع والتميز، فالعمل الإبداعي يعد مزيجًا مركبًا من صور المكان، ومظاهر الطبيعة فيه، وما يربط بينها من عوامل زمنية، وما نجم عنهما من ملامح فسيولوجية يتفرد بها المبدع.

ويعد الشعر من أبرز العمليات الإبداعية التي تترجم الحالات النفسية المتأصلة في الشاعر، والمرتبطة به على نحو ما، بفعل البيئة الزمكانية التي فُرض عليه التواجد فيها، أو اختار الانتقال إليها لسبب ما، فالشعر الجاهلي يمثل البنية التأصيلية [1]، لكونه "يحمل بصمة المكان الذي عاش فيه الشاعر من صحارى وسباع [2]"، ويبين سمة عصره، التي تمثلت بالبساطة، وعدم الاستقرار، وكثرة التنقلات، التي استدعت ظهور الأطلال فيه، ليغدو الشعر النموذج الذي أخذت تحتذيه الأجيال التالية في أدبها.

وشعر صدر الإسلام يمثل البنية التكوينية [3]، لكونه يعكس صورة المكان، الذي بدا ثابتًا على حاله في الجاهلية، بمظاهره الانفتاحية بين سماء وصحارى وما بينهما، في حين بدا الأثر الزماني أكثر بروزًا بما تمثل فيه من حدث عقدي جديد، ومتطلبات ذلك الحدث، ليمثل حالة من الاضطرابية الإبداعية التي تهيء لإحداث ما هو جديد استجابة لمتطلبات العصر.

وكذلك فإن شعر العصر الأموي، يمثل البنية الانتقالية [4]، إذ يعكس صورة تلك البيئة الزمكانية، التي بدا فيها المكان مسايرًا لحركة التغيير والتجديد الزمنية، التي تهيأت في عصر صدر الإسلام، حيث أخذ المكان يتطبع بطباع مدنية، أخذت تضيّق الأفق المنفتحة التي كانت في العصر الجاهلي، لتخلق نوعًا من التقارب الإنساني الذي نجم عنه الكثير من الخلافات السياسية، والاجتماعية، والدينية، وقد ترتب عليها "شيوع شعر السياسة في ذلك العصر من جهة، والعلاقات الإنسانية الطبيعية، التي بدت أكثر تشعبًا مما كانت عليه في البيئات السابقة، وقد ترتب عليها شيوع شعر الغزل بنوعيه العذري والصريح [5]" من جهة أخرى.

وقد مثل الشعراء تلك البيئات وغيرها في أشعارهم، بالإضافة إلى انفعالاتهم العاطفية وميولهم النفسية، حيث مثّل جرير ميوله النفسية الدفاعية، والهجومية، وبيئة العراق في عصره، ومتطلباتها في شعر النقائض والهجاء، ومثّل عمر بن أبي ربيعة ميوله نحو الجنوح، والتمرد العاطفي في شعر الغزل الصريح.

ثم إن الحركة الشعرية لتلازمها الحركة النقدية، التي اتسمت بسماتها التأثرية بالبيئة الزمكانية، فاتخذت مراحل انتقالية مختلفة بين الانطباعية غير المعللة، والانطباعية المعللة، وحتى الموضوعية والعلمية، والحركة النقدية لم تكن لتتأثر بمسار الشعر عبر بيئاته الزمكانية المختلفة وحسب، إنما كان لها أثر كبير في تحريك المسار الشعري، وتهذيب الذائقة الشعرية لدى العامة والشعراء، بالإضافة إلى تأجيج النشاط الشعري، وحفظه وتأريخه، فقد تناول النقاد، من مختلف طبقاتهم، شعر عمر بن أبي ربيعة بالنقد، وانقسموا فيه بين معجب مؤيد له، وبين معيب له في بعض مواضعه، ورافض له، وقد سجلت المصنفات النقدية القديمة تلك الآراء النقدية، وأرّخت لمجريات أحداثها، على نحو ألهب الدراسات الأدبية، والنقدية فيما بعد.

---

(1) البنية التأصيلية: تقصد الدراسة بها مرحلة الشعر النموذج.

(2) انظر: عامر مفاز (2016)، **مكونات البيئة في العصر الجاهلي دراسة أنثروبولوجية معلقة الحارث بن حلزة أنموذجًا**، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، ص14

(3) البنية التكوينية: تقصد بها الدراسة مرحلة التكوين والتشكيل التجديدي تبعًا للقيم الدينية والعقدية الجديدة.

(4) البنية الانتقالية: تقصد بها الدراسة مرحلة الانتقال والتحول الشعري من النموذج إلى التجديد للانسجام مع روح العصر الجديد.

(5) انظر: عبد العزيز عتيق (1972)، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، بيروت: دار النهضة العربية، ص109وص152

المطلب الأول- مرحلة الشباب: أثر الاضطراب العاطفي في تشكيل شعرية عمر بن أبي ربيعة

لقد تركت البيئة الزمكانية أثرها في البنية الفسيولوجية لشخصية عمر بن أبي ربيعة، فقد عاش عمر في بيئة مترفة لأسرة ثرية ذات نسب شريف، وتربى في أحضان والدته، بحكم انصراف والده، وانشغاله في تجارته [6]، وقد اعتاد على مجالسة رفيقات والدته، فألِف النساء، وتسمّع أحاديثهن، وتشرب رقة طباعهن، ولعل شعرية الغزل كانت موروثًا جينيًا، ورثه عن والدته التي تنتسب إلى حضرموت، إذ اشتهر أهلها بشعر الغزل، حيث قال محمد بن سلام في ذلك: " هي من حمير، ومن هناك أتاه الغزل، فكان له غزل يماني، ودل حجازي" [7].

ولم تكن البيئة الزمكانية وحدها التي تركت أثرًا في تشكيل البنية الشعرية عند عمر بن أبي ربيعة، فقد كان للبنية الفسيولوجية لعمر، التي تأسست في ضوء المعطيات الأنثوية المحيطة به، بالإضافة إلى أجواء الترف، والثراء، التي كانت قد أعفته من تحمل الكثير من أعباء الحياة، وأتاحت له الفراغ الكافي الذي مال لتعبئته بالتغزل والتنسب، أثر بالغ في توجيه المسيرة الشعرية، وتوليد العناصر الابتكارية في شعر الغزل لديه، حتى اختص بنوع من الغزل، وتفرد به شهرة وذيوعًا، من بين أبناء بيئته، وأصبح شاعرًا لربات الحجال في العصر الأموي.

لقد تميز عمر بن أبي ربيعة بروح يافعة نضرة تتعشق الحياة، وتتصيد الجمال، ولا تأبه، في سبيل الوصول إلى مرادها، للحدود الدينية والمجتمعية، التي طالما أثارت في نفسه نوعًا من الثورية العاطفية، التي كانت تحفزه، وتلح عليه لاختراقها، حتى عرف بالفسق وارتكاب المعاصي شعريًا، فحق عليه قول ابن أبي عتيق: " ما عصي الله عز وجل بشيء، كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة" [8].

وبما أن عمر بن أبي ربيعة قد أوتي طبعًا شعريًا موروثًا، فقد كان لابد وأن تترجم تلك السمات الفسيولوجية التي اتسم بها في شعره، حيث افتتن لسانه بشعر الغزل، الذي أخذ يسير على نحو مغاير لنوعه العذري، الذي ظهر في بوادي الحجاز في العصر ذاته، فقد مال شعره للجرأة اللامحدودة، والصراحة المنتقدة في التغني بمحاسن المرأة، ووصف عشقها، مما جعل الكثير من النقاد، على اختلاف فئاتهم من متذوقي الشعر، والشعراء، وأهل الأدب، يرفضون شعره ويحذرون منه، ومنهم ابن جريج، الذي اتخذ موقفًا حاسمًا من شعره بقوله: " ما دخل على العواتق في حجالهن شيء، أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة" [9].

ولم يتوقف التحذير من شعر عمر عند حد عبارة ابن جريج، إنما تجاوز ذلك إلى مصادرة ما يقع في أيدي الفتيات من شعره، كما فعل"عبد الله بن مصعب، إذ رأى مولاة لهم تدخل المنزل ومعها دفتر، فقال لها: ما هذا معك؟ فقالت شعر عمر بن أبي ربيعة، فقال: ويحك تدخلين على النساء بشعر عمر؟، إن لِشعره لَموقعًا من القلوب، ومدخلًا لطيفًا، لو كان شعر يسحر لكان هو. فارجعي به" [10].

ويبدو، مما روي عن عبد الله بن مصعب في موقفه من شعر عمر، أن الضرر المتحقق في شعره، يتشعب في اتجاهين، اتجاه يتمثل في معانيه ومضامينه، التي تستفز العاطفة وتستهلك القلوب، التي لاقت استحسانًا من قبل الجماهير من متذوقي الشعر، رجالًا ونساء، في العصر الأموي، لمحاكاتها المكنونات العاطفية الإنسانية، واتجاه يتمثل في ألفاظه، وأساليبه الفنية في نظم الشعر، حيث أضفت لونًا من السحر البصري، والسمعي الإيقاعي، الذي كان له

---

(6) انظر: محمد حسن أمرائي، شهريار همتي (1436 ه)، **قراءة فنية وأسلوبية في قصيدة "الرائية الكبرى" لعمر بن أبي ربيعة وميزاتها العاطفية**، مجلة: بحوث في اللغة العربية، ع12، ص4

(7) أبو الفرج الأصفهاني (1952)، **كتاب الأغاني**، القاهرة: دار الكتب المصرية، ج1، ص66

(8) المصدر السابق، ص76

(9) المصدر السابق، ص74

(10) المصدر السابق، ص78

دور كبير في لفت أنباه الجماهير، وتحقيق الحالة الطربية للأذهان والأسماع، حتى ولو كان ذلك في ساحة الكعبة، وحضرة هيبتها، فقد روي أن عمر بن أبي ربيعة قد حج، في سنة من السنين، فلما انصرف من الحج، ألفى الوليد بن عبد الملك وقد فرش له في ظهر الكعبة، وجلس، فجاء عمر وسلم عليه، وجلس إليه فقال: أنشدني شيئًا من شعرك، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد، وهما يرويان كل ما قلت، وهما لك. قال: ائتني بهما. فأنشداه قوله: أمن آل نعم أنت غاد فمبكر، فطرب الوليد لذلك وأجزل صلته" [(11)].

وقد يتبادر للأذهان، أن هذا التحذير المبالغ به من شعر عمر بن أبي ربيعة لا يمكن أن يكون لمجرد تأثير مفرداته ومعانيه، فقد كان لشعر جميل بن معمر، والقيسين ابن ذريح وابن الملوح في الغزل تأثير طربي من حيث المضمون والصياغة، غير أن أشعارهم لم تكن لتحظر في مدائن النساء، وهذا ما يستدعي النظر في شخصية عمر بن أبي ربيعة نفسها، من حيث الخُلق والطبع، فقد يكون ذلك التحذير لا يقصد شعر عمر في حد ذاته، بقدر ما يقصد به أداة لاجتذاب قلوب النساء وميولهن وإيقاعهن في شرك حب عمر نفسه.

لقد سجلت مصادر التأريخ الأدبي الكثير من الأخبار والمرويات، التي تكشف عن حقيقة الطبيعة الخُلقية لعمر بن أبي ربيعة، لا سيما أن بعض الرواة والنقاد كان يتخذ من شعره أداة للحكم على أخلاقياته وشخصيته، حيث إن إمعان عمر في شعر الغزل الصريح والإباحي، قد جعل البعض يرون فيه نبوءة الضلال وآية حلولها، حتى بلغ الأمر بعوانة بن الحكم أن قال: " ولد عمر بن أبي ربيعة ليلة مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأي حق رفع وأي باطل وضع " [(12)].

لقد بدا حكم عوانة بن الحكم على عمر بن أبي ربيعة انطباعيًا تعميميًا، بحيث شمل شخصه وشعره في آن معًا، فقد جعل عمر نموذجًا للباطل انطلاقًا من شعره، الذي اتسم بالجرأة في تخطي المألوف في النطاق الغزلي في وصف المرأة وصفًا حسيًا من جهة، وفي وصف جرأة المرأة في الإقبال على المحبوب من جهة أخرى، ولكن هذا لا يعني أن ذلك الحكم كان منبثقًا عن الفعاليات الشعرية لعمر وحدها، فقد ارتبط على نحو ما بتصرفات عمر نفسه في ملاحقاته للنساء، ومحاولاته للتودد إليهن، ولم يكن من شيء يثنيه عن ذلك، فلا هو يراعي حرمة المكان، ولا يخشى عقاب السلطان، فكان يتصيد النساء في مكة وقت الحج والعمرة، إذ " التقى بحسناء في الطواف فدنا منها يكلمها فصدته عنها قائلة: إليك عني يا هذا! فإنك في حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمة، غير أنه لم يتعظ، وألح عليها أن يكلمها، وخافت أن يشهرها، ولما كانت الليلة التالية، طلبت إلى أخيها أن يخرج معها، بحجة أن يعلمها المناسك، فلما رآها عمر مع أخيها، عدل عنها فتمثلت بقول النابغة:

"تَعدو الذِئابُ عَلى مَن لا كِلابَ لَهُ * وَتَتَّقي مَربَضَ المُستَنفِرِ الحامي "** [(13)]

وبلغ الأمر بعمر بن أبي ربيعة أيضًا، أنْ كان يهوى النساء فيعدهن بالزواج ولا يفعل، فقد "التقى امرأة في الحج، فهويها وراسلها، فواصلته ودخل إليها وتحدث معها وخطبها، فقالت: أما هاهنا فلا سبيل إلى ذلك، ولكن إن قدمت إلى بلدي خاطبًا تزوجتك، فلم يفعل" [(14)].

وفي مقابل هذا الجانب الأخلاقي المضطرب، الذي اشتهر به عمر بن أبي ربيعة، كان من يقول بعفته وحسن خلقه، فمن ذلك أن "بني مخزوم كانوا يزعمون أن ابن أبي ربيعة لم يحل إزاره على حرام قط، إنما كان يذهب في

(11) المصدر السابق، ص119

(12) المصدر السابق، ص71

(13) المصدر السابق، ص78

(14) المصدر السابق، ص87

نسيبه إلى أخلاق ابن أبي عتيق، فإن ابن أبي عتيق كان من أهل الطهارة والعفاف، وكان من سمع كلامه توهم أنه من أجرأ الناس على فاحشة" [15].

لقد كان عمر بن أبي ربيعة مدركًا لهذه الصورة التي تشكلت له في أذهان العامة والنقاد، غير أنه لم يكن يبالي بها في فترة شبابه، ولربما كان يتلذذ بما تخلقه من تشكك في أذهان الناس وتحيرهم فيه، لاسيما أنهم قد التمسوا الفجوة بين خلق عمر الإنسان، وخلق عمر الشاعر، وخلق عمر المتناقض في مواضع متفرقة من شعره، فإلى جانب شعره الإباحي كان يقول:

" بِاللَهِ قولي لَهُ في غَيرِ مَعتَبَةٍ * ماذا أَرَدتَ بِطولِ المَكثِ في اليَمَنِ**
إِن كُنتَ حاوَلتَ دُنيا أَو نَعِمتَ بِها * فَما أَخَذتَ بِتَركِ الحَجِّ مِن ثَمَنِ"**

مما دفع ابن جريج نفسه، الذي حذر من شعره، ليقول: ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحدًا بشعر عمر بن أبي ربيعة، حتى سمعت وأنا باليمن منشدًا ينشد قوله ذاك". [16]

لقد بدت مواقف النقاد من شعر عمر مضطربة ومتناقضة تمامًا، كما هو حال شعره نفسه الذي تأرجح بين التدين والإباحية من جهة، وبين شعره وواقعه المعاش من جهة أخرى، إلا أن من النقاد من التمس حالة الانفصال بين شعر عمر وشخصه، فوقف موقفًا موضوعيًا، في حكمه على عمر بن أبي ربيعة وشعره، إذ فصل بين الجانب الأدبي لعمر، والجانب الشخصي له، مدركًا أنه وإن كان جريئًا على الحرام في شعره، إلا أنه عفيف في خلقه واقعيًا، ومنهم الزبير بن بكار، إذ قال: " لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفًا، يصف ولا يقف، يحوم ولا يرد" [17]، ولكن إن كان عمر منفصلًا خلقيًا بين شعره وواقعه، فما الذي أدى به إلى ذلك الانفصال؟

غالبًا ما تُردّ مثل تلك الحالات الانفصالية، بين الفعل والقول، إلى مؤثرات فسيولوجية تتصل بالماضي المخزون في ذاكرة الشخصية، لا سيما ذلك الجزء الذي ينتمي إلى مرحلة الطفولة، وعليه فإن السبب وراء ذلك الانفصال، يكون عاملًا لا دافعًا، حيث أن عمر بن أبي ربيعة كان قد تنشأ في حضرة والدته، التي كان يقضي معها معظم وقته في غياب والده، مما قد عزز لديه الجانب الأنثوي، الذي تمثل في استحسانه لمجالسة النساء ومحادثتهن، ومدحهن مقارنة بالرجال، ولعله قد باح بذلك بلسانه حين " قال لسليمان بن عبد الملك: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء" [18]، فكأنه يستعيد فيهن مجالس الأنس واللهو، التي كانت تجمع أمه برفيقاتها، ولعل شعره يبوح بذلك إذ تضمن بعض الإشارات التي تدل عليه، لا سيما أنه ينسجه على نمط المحاورات والمحادثات كما في قوله:

" حَدِّث حَديثَ فَتاةِ حَيٍّ مَرَّةً * بِالجِزعِ بَينَ أَذاخِرٍ وَحَراءِ**
قالَت لِجارَتِها عِشاءً إِذ رَأَت * نُزَهَ المَكانِ وَغَيبَةَ الأَعداءِ**
لَيتَ المُغيرِيَّ العَشِيَّةَ أَسعَفَت* دارٌ بِهِ لِتَقارُبِ الأَهواءِ**
قالَت لِجارَتِها اِنظُري ها مَن أُلى * وَتَأَمَّلي مَن راكِبُ الأَدماءِ**
قالَت أَبو الخَطابِ أَعرِفُ زِيَّهُ * وَلِباسَهُ لا شَكَّ غَيرَ خَفاءُ**
قالَت وَهَل قالَت نَعَم فَاِستَبشِري * مِمَّن يُحَبُّ لَقِيُّهُ بِلِقاءِ" [19]**

---

(15) الجاحظ (1965)، **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، الكتاب الأول، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البامبي الحلبي، ج2، ط2، ص84

(16) **كتاب الأغاني**، ج1، ص112

(17) المصدر السابق، ص119

(18) المصدر السابق، ص74

(19) عمر بن أبي ربيعة (1996)، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، ص33

لقد تمكن عمر بن أبي ربيعة من الوقوف على التفاصيل الدقيقة لحوار النساء وأحاديثهن، موثقة بتفصيل الزمان والمكان، مستمدًا مجرياتها من أحاديث والدته ورفيقاتها، ولعله في تسليطه لأنظار النساء وأنباهن إليه بكل هذا العزم والابتيار، يعكس ما سجلته ذاكرته من اهتمام النساء به في حضرة والدته، حين بدا طفلًا جميلًا وديعًا في أعينهن، وأنه يفتقر لذلك الاهتمام في شبابه، بحكم بيئته الاجتماعية وتقاليدها.

ولربما كان حب الشهرة والذيوع مصدر ذلك الانفصال، فيكون السبب من ورائه بذلك دافعًا لا عاملًا، لا سيما أن عمر بن أبي ربيعة قد عاش في عصر أخذ الشعر فيه يُمتهن ويتكسب به، فالشاعر إما أن يكسب بشعره مالًا كما فعل شعراء المدائح في حواضر الشام، أو شهرة في الأوساط الأدبية، كما فعل شعراء النقائض، ولعل التحول بين كفتي الغزل في شعره، كانت دليلًا كافيًا على رغبته في تسليط الأضواء على ذاته، فهو لا يبالي بحب النساء، ولا يشغف بالتغزل بهن بقدر ما تشغفه نفسه، التي بدت محورية في سائر غزلياته، في حين بدت المرأة أداة يوظفها لإبراز ذاته، فهو القائل:

" سَلامٌ عَلَيها ما أَحَبَّت سَلامَنا * فَإِن كَرِهَتهُ فَالسَلامُ عَلى أُخرى"** [20]

والشهرة في الشعر لم تكن رغبة لعمر وحده وحسب، إنما كانت رغبة ملموسة لدى بعض النساء المعنيات بالغزل، لاسيما أن "المرأة في المجتمع الأموي كانت قد اتسمت بالجرأة وتمتعت بشيء من الحرية [21]"، فمن النساء من كن يطلبن عمر ويقصدنه كي يقول الشعر فيهن فيُعرفن، وكن يتغزلن به، فمن ذلك أن" نسوة من أهل المدينة، قد اجتمعن فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره، وظرفه، وحسن حديثه، فتشوق إليهن وتمنينه، فقالت سكينة: أنا لكن به، فأرسلت إليه وواعدته وأتت به إليهن" [22]، فسامرهن، وتبادلوا الحديث حتى الصباح.

وقد تبلغ الجرأة وحب الشهرة عند بعض النساء، أن يبحثن عن عمر ويطلبن منه التشبيب بهن بشكل مباشر، ولو كان قد كلفهن ذلك مالاً، فها هي بنت مروان بن الحكم كانت قد حجت، فلما أنهت نسكها، ذهبت إلى عمر بن أبي ربيعة، وقالت له: نشدتك الله أن تشهرني بشعرك، وبعثت إليه بألف دينار فقبله، وابتاع به حللًا وطيبًا فأهداه إليها، فردته، فقال لها: والله لئن لم تقبليه لأنهبنه فيكون مشهورًا فقبلته، وقال فيها قصيدة مطلعها:

أَيُّها الرائِحُ المُجِدُّ اِبتِكارا * قَد قَضى مِن تِهامَةَ الأَوطارا"** [23]

لقد اتخذ عمر بن أبي ربيعة من شعره واقعًا مقلوبًا، يتيح له أمر تفريغ مكبوتات الوعي الباطن، التي تتخبط بين الممنوع والمسموح، فهو واقع لا تحده الحدود، ولا تربكه المحظورات، على النقيض من واقعه المعيش المطرز بالحدود المجتمعية والدينية والسياسية، ليتمكن فيه من تنسيقه وتنظيم وقائعه، تبعًا لما ينسج في مخيلته، فتراه يختلق القصص والأحداث بينه وبين المحبوبة المعنية بالغزل، على نحو لا يجوز في الواقع المعيش، وغزله المقلوب يؤكد ذلك، فهو يتغزل بنفسه، ويجعل من النساء عاشقات له، مطاردات لشخصه، على نحو مغاير للواقع تمامًا.

إن هذا الانفصال بين واقع عمر الشعري وواقعه المعيش، لم يتأتى إلا بطاقة إبداعية في مجال شعر الغزل، جعله محط اهتمام وانتباه الكثير من النقاد والشعراء، وحتى العامة من متذوقي الشعر، ولم يكن ذلك إلا ردة فعل لبيئته الزمكانية، إذ إن عمر بن أبي ربيعة شاعر مخضرم، عاش شوطًا من حياته في عصر صدر الإسلام، وشوطًا آخر في العصر الأموي، وبين العصرين ظروف انتقالية حسية مختلفة، تتمثل بالقيم الحضارية والسياسية، وكان لا بد أن تتمثل تلك الظروف في شعره كمرحلة انتقالية ذهنية، لهذا فقد انتقل بالغزل من النساء إلى نفسه، وانتقل بالغزل

---

(20) المصدر السابق، ص 8

(21) فاطمة الشمري (2010)، **الغزل الحجازي الحضري في العصر الأموي دراسة في البنيوية التكوينية**، جامعة القصيم، ص101

(22) **كتاب الأغاني**، ج1، ص 161

(23) المصدر السابق، ص167

من العذري الى الصريح، وانتقل من الشغف الشعري في الشباب إلى الانطفاء الذي تمثله مرحلة الشيخوخة، وعليه فإن إبداعية عمر كانت قائمة على تلك الخاصية التحولية والانتقالية، التي أهلت شعره للتفرد، مقارنة بشعر الغزل لدى معاصريه، الذي ظل يسير في مسار واحد على نمط إيقاعي وواقعي واحد، خلق نوعًا من الرتابة في أسماع الجماهير وأذهانهم، فجماهير الشعر لم تكن تبحث عن العصيان والتمرد في شعر عمر، الذي اتخذه ابن أبي عتيق مقياسًا للنقد [24]، إنما كانت تبحث عن ذلك المختلف الذي ينفض غبار الرتابة عن مسامعها.

المطلب الثاني- مرحلة النسك: أثر الاتزان النفسي في تشكيل شعرية عمر بن أبي ربيعة

لقد شكل عمر بن أبي ربيعة البنية الانتقالية في شعره، في تحوله من الغزل العذري إلى الصريح، وشخصيته بين خلقه الواقعي العفيف وخلقه الشعري المستبيح، ولم تقف انتقالياته عند هذا الحد، فقد تمثلت مسيرته الشعرية في مرحلتين: مرحلة الشباب واللهو، وتمثلت في النصف الأول من حياته، وقد ابتدع فيها شعره في الغزل الصريح، ومرحلة الشيخوخة والنسك، وتمثلت في النصف الثاني من حياته، وقد خملت فيها طاقته الشعرية، وفي ذلك يقول محمد بن الضحاك: " عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة، فتك منها أربعين سنة، ونسك أربعين سنة" [25].

لقد طغا، في هذه المرحلة، أثر البيئة الزمانية على البيئة المكانية، وبدا أثرها واضحًا في تشكيل الخصائص الفسيولوجية لشخصية عمر بن أبي ربيعة، وشعريته التي مرت بمرحلة انتقالية تسير نحو الانتكاس، مغادرة الشباب إلى الشيخوخة التي تبدت في صورته وفي شعره، وهذا اللون من البنى الانتقالية يُلتمس لدى كبار الشعراء، الذين تسير أشعارهم في البداية على نحو انفعالي حاد تُستهلك فيه العاطفة الابتكارية، فتغدو في مرحلة تالية منطفئة، أو متحورة تجعل الشاعر يقبل على انفعال مناقض لاندفاعه الأولي، على النحو الذي تجده الدارسة لدى الشاعر أبي نواس، الذي انتقل من الخمريات والمجون إلى الزهديات.

إن العاطفة الابتكارية، تمنح الشاعر القدرة على الابتكار والخروج على المألوف، وتتجلى في صورة الانغماس في التجديد والإغراق فيه، على نحو يكفل للشاعر كمًا إنتاجيًا من الإبداع الفني والشعري، الذي يتحقق بفضل غريزة السعي نحو الإشباع الابتكاري، والتمرد، وعدم الرضا عن الواقع المعيش والسعي لتغييره.

وعندما يصل الشاعر أو المبدع إلى حالة اليأس من حصول ذلك التغيير المنشود، فإنه يمر بحالة من الرضا والاقتناع المرغم، كما هو الحال عند أبي نواس في تحوره، إذ أقبل على الزهديات بعد الخمريات، بينما تجلى عند عمر بن أبي ربيعة في انطفائه بعد تألقه في الغزل الصريح، ولعل في استشعار عمر بن أبي ربيعة للندم والتحسر على الماضي الغابر، وحنينه إليه، ودعوته الشباب لاستثمار أيامهم، دليلًا كافيًا على مروره بالانتقال الانتكاسي، فقد قال ذات يوم مخاطبًا شابين في مكة: يا ابني أخي، إني موكّل بالجمال أتبعه، وإني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه " [26].

وقد تحدث النقلة الانتكاسية للشاعر إثر مروره بحالة من النرجسية في شبابه، فيكون مأخوذًا بنفسه منبهرًا بها، وعندما تنقضي فترة الشباب، وتحل الشيخوخة محلها، فإنه يصاب بحالة من اليأس، لافتقاره لأعز ما امتلك، فيصاب بالانطفاء، ويقل نتاجه الشعري على النحو الذي نجده عند عمر بن أبي ربيعة أيضًا.

---

(24) **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص123

(25) **كتاب الأغاني**، ج1، ص77

(26) المصدر السابق نفسه

إن الانتكاس في الطاقة الشعرية يعد شكلًا من أشكال المرحلة الانتقالية، ويقصد بها التحول العاطفي إلى اتجاه مناقض ينجم عنه مخزون شعري ينقسم في اتجاهين متعاكسين، وقد تمثل عند ابن أبي ربيعة في شعر مرحلتي الشباب والشيخوخة، إذ أخذت شعرية عمر تنطفئ وتفتر مع تقدمه في السن، حتى بلغ به الأمر أن صد نفسه عن الشعر وتمنع عنه، كما فعل حين استنشده الوليد بن عبد الملك، فقال له: " يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير، وقد تركت الشعر "[27].

لقد أبدى عمر بن أبي ربيعة صحوة من عالمه المختلق، الذي استبد فيه بحالة من الاضطراب والقلق العاطفي، ليجد نفسه في واقعه المعيش عجوزًا قد تركه الغزل وما كان هو ليتركه، إذ يقول:

"لَجَّ قَلبي في التَصابي * وَازدَهى عَنّي شَبابي**
وَدَعاني لِهَوى هِنـ * ـدٍ فُؤادٌ غَيرُ نابِ**
قُلتُ لَمّا فاضَتِ العَيـ * ـنانِ دَمعاً ذا اِنسِكابِ**
إِن جَفَتني اليَومَ هِندٌ * بَعدَ وُدٍّ وَاِقتِرابِ**
فَسَبيلُ الناسِ طُرّاً * لِفِناءٍ وَذَهابِ"**[28]

وما كان من عمر غير أن يبدأ من جديد البحث عن نفسه في الواقع المعيش، فيجد أن صورته كانت ولا تزال مشوشة في عيون من حوله من النقاد، الذين نالت منهم سطوة التشكك، التي طالما تلذذ بزرعها في أذهانهم، وقد رغبت عنها نفسه في شيخوخته، فارتأى أن يعاود المحاولة لاسترداد الموثوقية الخلقية التي بددها في شبابه، من خلال تحقيق نوع من التوازن في المسار العاطفي.

لجأ عمر بن أبي ربيعة إلى غير طريقة لاسترداد موثوقيته الخلقية، وتحقيق توازنه، فقد عمد إلى محاولة نقض عالمه المختلق، باستعادة حقيقة واقعه بكف لسانه عن قول الشعر، فقد "نذر أن يعتق عبدًا من عبيده كلما قال بيتًا من الشعر، وقد قال تسعة أبيات من الشعر في حادثة تركت في نفسه أثرًا، فاستدعى تسعة من عبيده وأعتقهم لذلك"[29].

وكان يعلن، بين الحين والآخر، أنه لم يكن ليقترف ما يقوله في شعره، إذ يروى أنه خاطب المغيرة بن عبد الرحمن في صغره قائلًا: يا ابن أخي قد سمعتني أقول في شعري قالت لي وقلت لها، وكل مملوك لي حر إن كنت كشفت عن فرج حرام قط "[30]، ويبدو اعتراف عمر صادقًا مفعمًا بالشعور بالذنب والأسف على ما اقترفه في شعره، لا سيما أن ما رسخه في أذهان الناس عن نفسه، لم يكن لينسى بمجرد اعتراف، فقد لجأ النقاد للبحث عن براهين تتيح لهم التحقق من اعتراف عمر، فها هو المغيرة بن عبد الرحمن في الرواية السابقة يقول: "فقمت وأنا متشكك في يمينه، فسألت عن رقيقه فقيل لي: أما في الحوك فله سبعون عبدًا سوى غيرهم"[31].

وقد نظم عمر بن أبي ربيعة قصائد ومقطوعات، يقر فيها بانفصاله في فترة شبابه بين شعره وواقعه، إذ إنه على فحشه وإباحيته في شعره، لم يكن ليقترف حرامًا في واقع حياته قط، فهو يقول:

"رُبَّ لَهوٍ لَهَـوتُهُ* بِجِوارٍ رَبائِبِ**
لَيسَ في ذاكَ مَحرَمٌ* وَإِلَهِ المَغارِبِ**

---

(27) المصدر السابق، ص119
(28) **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، ص49
(29) المصدر السابق، ص8
(30) **كتاب الأغاني**، ج1، ص78
(31) المصدر السابق، ص78

غَيرَ أَنّا نَشفي الصُدو* رَ بِذَروِ التَعاتُبِ"** [32]

لقد بدا شعر هذه المرحلة مختلفًا عن الطبيعة الشعرية التي أُلفت عند عمر بن أبي ربيعة في الغزل الصريح، حيث الجرأة في تجاوز الحدود، والقيم الدينية والمجتمعية، إذ بدا شعر هذه المرحلة كعمل تكفيري يحاول فيه محو ما اقترفه في شبابه وتجاوزه، وقد أصبح ناسكًا، وله في التنسك قصائد ومقطوعات، ومنها قوله:

"تَرَوَّحَ يَرجو أَن تُحَطَّ ذُنوبُهُ * فَآبَ وَقَد زادَت عَلَيهِ ذُنوبُ**

وَما النُسكُ أَسلاني وَلَكِنَّ لِلهَوى * عَلى العَينِ مِنّي وَالفُؤادِ رَقيبُ"** [33]

غير أنها لم تلق من الحضور بين جماهير الشعر والنقاد، بقدر ما لقيه شعر الغزل الصريح، فالنقد لم يكن يواتيه ذلك الانطفاء الذي مر به عمر بن أبي ربيعة، وهو وإن كان السبب في إلهاب شعر عمر وشهرته، كان قد ارتبط في توقده بروح الشاعر، حتى إذا انطفأت خفت صوته وبهت.

لقد مرت شعرية عمر بن أبي ربيعة بمرحلتين: مرحلة الشباب المفعمة بالطاقة الشعرية الابتكارية، التي تسيرها حالة من القلق العاطفي، ومرحلة الشيخوخة التي شاخت فيها طاقته الشعرية وانطفأت، وفي كلتا المرحلتين، كانت الحركة النقدية تتطبع بحال الشاعر نفسه، وتغتذي على نتاجه الشعري، ففي المرحلة الأولى كانت الحركة النقدية ملهبة إلهاب الشعر نفسه، وقد تعدد نقاد شعر عمر وانقسموا فيه أقسامًا، منها ما يؤيد شعره ويفضله، ومنهم من يرفض شعره، لتأثيره على الأخلاق المجتمعية وقيمها، ومنهم من كان يفصل بين الشاعر وشعره فيحكم بموضوعية على شعره، وقد تنوع هؤلاء النقاد، حيث كانوا من جماهير الشعر ومحبيه من عامة الناس، ومنهم من كان شاعرًا، ومنهم الناقد الأديب كابن أبي عتيق.

المبحث الثاني- تشكيل البناء النقدي لشعرية عمر بن أبي ربيعة

يرتبط الشعر بالنقد في علاقة طردية، فكلما ازدهرت الحركة الشعرية لشاعر ما، وانتعشت روح الابتكار فيه، ازدهرت الحركة النقدية حوله وانتعشت، وهذا ما تظهره الحركة النقدية حول شعر عمر بن أبي ربيعة، ففي وقت ازدهاره وانتعاشه في فترة الشباب، كان شعره عرضة للنقد ومصدرًا لخلاف النقاد من مختلف طبقاتهم، بدءًا من العامة وحتى النقاد المثقفين، بينما تلحظ الدارسة خمولًا في الحركة النقدية حول شعر عمر بن أبي ربيعة في فترة الشيخوخة، تبعًا للخمول الذي أصاب الحركة الشعرية في هذه المرحلة، ولعل تمنع عمر عن قول الشعر وتمنعه عنه بداية، كان له أثر بالغ في خمول الحركة النقدية حوله، وانصراف النقاد عن شعره في التنسك فيما بعد.

ولم يكن الشعر هو المؤثر الوحيد في مسار الحركة النقدية، فقد كان للحركة النقدية دورها في دعم النتاج الشعري لعمر بن أبي ربيعة، إذ كان يتلذذ بخلافهم حول شعره لا سيما بما يزرعه فيهم من تشكك وخلط بين خلقه الفني وخلقه الإنساني، فكان كلما اشتد الخلاف بين النقاد، ازداد عمر في شعره.

إن ثمة نقاط اتصال والتقاء، تربط الشعر بالنقد، ولها أثر بالغ في تسيير الحركة النقدية تبعًا للحركة الشعرية لدى عمر بن أبي ربيعة، ومن أبرزها: الغرض الشعري، فشعر المرحلة الأولى لعمر بن أبي ربيعة، كان "مقصورًا على الغزل الصريح [34]"، الذي كان له شعبية بين الجماهير من محبي الشعر، فحقق عمر به إقبالًا كبيرًا، لسببين: الأول يعود لطبيعة تلك الجماهير، وانجذابهم لشعر الغزل بشكل عام، والثاني يعود لطبيعة عمر نفسه،

---

(32) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص52

(33) المصدر السابق، ص51

(34) انظر: ممدوح الجزولي (2010)، صورة العصر في شعر عمر بن أبي ربيعة، جامعة الخرطوم، ص164

واندفاع روحه فيما ينظمه من شعر الغزل، هذا بالإضافة إلى الابتكارية التي اختص بها من خلال قلب كفتي الغزل في الشعر.

أما غرض التنسك، الذي أقبل عليه عمر في شيخوخته، فقد بدت الحركة النقدية الموجهة إليه رتيبة خاملة، نظرًا لانطفاء الابتكارية التي اتسمت بها الروح الشعرية لعمر بن أبي ربيعة، إذ إن عمر نفسه لم يكن مندفعًا في عاطفته في أشعار التنسك، فهو لم يكن يقول في التنسك شعرًا، إلا إنْ شعر باضطراره إلى ذلك، وإلا فإنه يتمنع عن قول الشعر بكل أحواله.

والحركة النقدية كانت في أصلها، في هذا العصر، ترتكز على حكم الذائقة العامة للناقد، ولعل شعر التنسك كغرض فني، في بيئة اتسمت بالميل للتمدن والترف، وإغراق أهلها في صنوف اللهو، وإقبالهم على مجالس الطرب والغناء، لم يلق استحسانًا بين جماهير النقد والشعر.

المطلب الأول: شعر عمر بن أبي ربيعة في مرآة النقد الانطباعي

بدت الحياة في الحجاز في العصر الأموي جامعة للونين مختلفين من البيئات، البيئة البدوية التي شكلت امتدادًا لصورة الحياة، التي عرفت في عصر صدر الإسلام، وصورة الحياة المدنية التي أخذ الحجاز يسير إليها بفعل الترف والثراء، الذي امتاز به أهله.

وقد اتسم الأدب ونقده بسمات البيئة الحجازية الجامعة، فبدا الشعر مزيجًا بين بنيتين التأصيلية النموذج، والتكوينية، التي أخذت تؤسس لحركة التجديد المناسبة لروح العصر، وكذلك الحال في النقد الأدبي، الذي أخذ يجمع بين "البساطة والعشوائية الجزئية، والانطباعية غير المعللة في إطلاق الأحكام، على النحو الذي كان شائعًا في عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام [35]"، وبين الانطباعية المعللة التي شكلت البذرة الأولى للنقد الممنهج في العصر الأموي.

وقد اتسعت دائرة النقد الأدبي، حتى بات كل من أمكنه تذوق الشعر أو قوله يتقدم لنقده، وأصبح نقاد الشعر في العصر الأموي يتوزعون في خمس طبقات: طبقة متذوقي الشعر من العامة، وطبقة الرواة، وطبقة الخلفاء، وطبقة الشعراء، وطبقة النقاد المثقفين.

تعد طبقة متذوقي الشعر من العامة من أوسع طبقات النقاد في العصر الأموي، ويعود تاريخ هذه الطبقة إلى العصر الجاهلي، حيث كان الشعر يطرح في الأسواق الأدبية، فتتلقاه العامة، وتتناقله، وتبدي رأيها في جيده ورديئه، وبما أن ملامح حياة البداوة الجاهلية، التي امتازت بالبساطة وعدم الاستقرار، قد امتدت لتظهر في بوادي الحجاز في العصر الأموي، فقد ظلت طبقة النقاد من متذوقي الشعر من العامة حاضرة بكل مظاهرها في العصر الأموي أيضًا.

إن وجود مثل هذه الطبقة من النقاد، ينم عن انتشار الثقافة وعمومها، كما يشير إلى مكانة الشعر في قلوب الناس، وأهميته لهم في الحياة اليومية كمادة إعلامية وإخبارية من جهة، وكمادة ترفيهية تصبو النفوس إليها لتسلية النفس والترويح عنها.

انطلق متذوقو الشعر من العوام، في نقدهم للشعر، من تلك الأسس العامة المتعارف عليها كاللغة والطبع والصور الشعرية وغيرها، وكانت"أحكامهم تتسم بالعمومية والجزئية، وكانت تخضع لحكم الذائقة الشعرية [36]"، إذ إن جل ما يسعى إليه نقاد هذه الطبقة في نقدهم للشعر، هو إرضاء ذائقتهم الذاتية.

---

(35) قصاب توفيق، جوال مسعود (2016)، **الانطباعية في النقد العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي**، الجزائر: جامعة زيان عاشور، ص46

(36) المرجع السابق، ص61

تعرض نقاد هذه الطبقة لشعر عمر بن أبي ربيعة، وأخذوا يخضعونه لأحكامهم النقدية، التي اختلفت وتفاوتت تبعًا للذائقة الشخصية، التي يتفرد بها كل ناقد منهم، وكانت لكل ناقد طريقته الخاصة في نقده للشعر، فمنهم من يسمع القصيدة فيقف عند جزئية منها من المعاني أو الألفاظ فيتتبع للشاعر هفواته فيها، ومن ذلك ما وقفت عليه الجارية البغوم في قول عمر:

" وَلَقَد قُلتُ لَيلَةَ الجَزلِ لَمّا * أَخضَلَت رَيطَتي عَلَيَّ السَماءُ**

إذ قالت له: ما رأيت أكذب منك يا عمر، تزعم أنك بالجزل، وأنت في جنبذ محمد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك، وليس في السماء قزعة، فقال هكذا يستقيم هذا الشأن" [37]، ويبدو حكم الجارية على قول عمر مخصصًا ومحددًا، فهي تشير إلى قضية الصدق والكذب، وهي لم تطلق حكمًا عامًا بشكل عشوائي، إنما أشارت إلى الجزئية التي لفتتها في البيت ودفعتها لنقده، غير أن ذلك التخصيص والتحديد لم يكن منهجًا متبعًا في أحكام نقاد هذه الطبقة، إنما كان يرد دون قصد إليه.

وقد يتوسع النقاد من متذوقي الشعر في نقدهم للمعنى، فلا يقفون على جزئية منه، إنما يتناولونه بكليته كالمعاني والمضامين العامة، التي تغطي القصيدة، فالتفت نقاد هذه الطبقة إلى قضية الجرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، وعدها من المستحسن في الشعر، إذ "سمع رجل من أهل مكة من بني هاشم، إنشاد أشعب لقول عمر بن أبي ربيعة:

لَقُلتُ إِذا التَقَينا قَبِّليني * وَلَو كُنّا عَلى ظَهرِ الطَريقِ**

فقال: أحسن والله هكذا يطيب التلقي لا بالخوف والتوقي" [38]، وعلى الرغم من أن هذا اللون من الجرأة على القيم المجتمعية، كانت تروق الكثير من متذوقي الشعر من العوام، إلا أنها لم تلق استحسانًا نقديًا بقدر ما لقيته من المعارضة والرفض، إذ إن الجرأة في الغزل، وتجاوز القيم المجتمعية والدينية في ذلك، كانت محط خلاف النقاد وتفاوت أحكامهم، وهي من القضايا النقدية النسبية، التي ينطلق فيها الشاعر على سجيته، ولا ينظر إليها في شعره من باب الصواب والخطأ.

إن تذبذب متذوقي الشعر في نقدهم بين المعاني الجزئية من جهة، والمعاني والمضامين العامة من جهة أخرى، لأمر تستلزمه الحالة الانتقالية التي يتسم بها الأدب نفسه، وهي توحي بتوجه الحركة النقدية من الجزئية نحو الكلية، التي تستدعي الناقد للنظر في القصيدة بنوع من الموضوعية، فلا يحكم على سائرها إنطلاقًا من كلمة أو معنى واحد، إنما يحكم على الطريقة التي تسير بها تلك الجزئيات في الإطار العام للقصيدة.

غير أن توجه نقاد هذه الطبقة وانتقالهم من الجزئية نحو الكلية يسير نحو السطحية النقدية، إذ تغدو المعاني والسمات الكلية، التي ينظرون إليها في نقدهم للقصيدة ميزانًا يقاس به شعر الشاعر برمته، وهذا ما توجه إليه معظم جماهير شعر عمر بن أبي ربيعة الذين قد بلغ بهم الأمر أنهم "لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعرًا من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلي بمودته والابتيار في شعره" [39]، ومثل هذه الأحكام العامة والسطحية لتعكس جماهيرية عمر بن أبي ربيعة وشعبيته بين العوام، فهم يفضلونه على من سواه لا سيما في شعر الغزل.

---

(37) **كتاب الأغاني**، ج1، ص166

(38) ابن عبد ربه (1983)، **العقد الفريد**، تح: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ج7، ط1، ص56

(39) **كتاب الأغاني**، ج1، ص119

لجأ النقاد من متذوقي الشعر إلى أكثر من طريقة، للتوجه من خلالها للشعر بالنقد، فقد يلجأون للنقد المباشر من خلال الإصغاء لقصيدة الشاعر أو قراءتها، أو من خلال عقد موازنات شعرية بين شاعرين أو أكثر، والمفاضلة بينهم في المعاني المشتركة والأساليب الفنية المستخدمة في نظم الشعر من صور وتراكيب، ومن ذلك أن "سأل سعيد بن المسيب صاحبه نوفل بن مساحق عن الأشعر بين الشاعرين عبد الله بن قيس الرقيات وعمر بن أبي ربيعة، فقال نوفل: صاحبكم أشعر في الغزل، يقصد عمر بن أبي ربيعة، وشاعرنا أكثر أفانين شعر، يقصد ابن قيس الرقيات" [(40)].

لقد انطلق الناقد نوفل بن مساحق، في حكمه على الشاعرين من المجمل العام لنتاجهما، دون الوقوف على قصائد بعينها، وهذا يعني أن نقد هذه الطبقة لا يزال في طور انتقاله نحو العمومية السطحية، فحكم نوفل بن مساحق يعد حكمًا عامًا، يشمل سائر قصائد عمر بن أبي ربيعة، كما أنه غير مصحوب بتعليل يوضح سبب اتخاذه لمثل هذا الحكم، كما يبدو أن ابن المسيب، وهو الذي سأل نوفل حكمه على الشاعرين، قد اكتفى بالحكم دون أن يسوقه الفضول لمعرفة الأسباب التي دفعت نوفلًا للنطق به، كأنما هو يوافقه الحكم ويقر به معه، أو أن حكمه قد نال منه الرضا والإعجاب، فلم يجد جدوى من الاستفسار، وهذا الأسلوب المتبع في إطلاق الأحكام النقدية على الشعر، قد كان شائعًا بين نقاد طبقة متذوقي الشعر، سواء أكانوا من مؤيدي عمر بن أبي ربيعة أو رافضي شعره.

وقد يختلف النقاد من متذوقي الشعر في إطلاق أحكامهم العامة، فيلجأون إلى من يرجح بينهم كما فعل "أصحاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك حينما سألهم عن أغزل بيت قالته العرب، فاختار أحدهم بيت جميل بن معمر:

يَموتُ الهَوى مِنّي إذا ما لَقيتُها * وَيَحيا إذا فارَقتُها فَيَعودُ**

بينما اختار آخر بيت عمر بن أبي ربيعة:

كَأَنَّني حينَ أُمسي لا تُكَلِّمُني * ذو بُغيَةٍ يَبتَغي ما لَيسَ مَوجودا"** [(41)]

وقد مال الوليد لبيت ابن أبي ربيعة ورجح كفته، دون أن يلجأ أي منهم لتبرير تلك الأحكام المطلقة التي توصلوا إليها.

ويكشف هذا اللون من الموازنات الشعرية عن تفاوت متذوقي الشعر في ذائقيتهم، مما جعلهم يختلفون ويترددون بين شاعر وآخر، ويطلقون أحكامًا عامة، حيث أن كلًا منهما يظن شاعره صاحب أغزل بيت قالته العرب، دون أن يتطرق أي منهما لتبرير ما توصل إليه من حكم، ولا حتى الاستفسار من صاحبه عن علة حكمه المخالف له.

وعلى هذا النحو سارت موازنة شهدها مصعب الزبيري بين شعري عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر، حيث أطلق الحكم النقدي على شعرهما، انطلاقًا من بعض قصائدهما، ووقف منها موقفًا محايدًا حيث قال: " كان عمر يعارض جميلًا، فقال كل منهما قصيدة، فحُكم له بأنه أشعر من جميل في الرائية والعينية، في حين حكم لجميل بأنه أشعر منه في لاميته" [(42)]، ويبدو أن مصعب الزبيري يقر بما توصل إليه متذوقو الشعر من حكم على شعر الشاعرين.

و كان لمصعب الزبيري آراء نقدية في شعر عمر بن أبي ربيعة، يختزل فيها سائر المقاييس والقيم الأدبية التي ينظر إليها النقاد من متذوقي الشعر في شعر عمر، إذ يقول: " راق عمر بن أبي ربيعة الناس، وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر، وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب المصدر، والقصد للحاجة، وإنطاق القلب،

(40) المصدر السابق، ص113

(41) المصدر السابق، ص114

(42) المصدر السابق، ص116

وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار....." [43] وما إلى ذلك من المقاييس التي تستشف من تلك الآراء النقدية التي أشارت الدراسة إليها، وغيرها كثير.

وظهر لدى بعض النقاد من متذوقي الشعر، بعض الأحكام المعللة التي يشير فيها الناقد صراحة إلى المأخذ، ويعلق عليه مدليًا بعلة حكمه، ومن ذلك قول سعيد بن المسيب حينما سمع بيت عمر الآتي:

" وَغابَ قُمَيْرٌ كُنتُ أَرجو غُيوبَهُ * وَرَوَّحَ رُعيانُ وَنَوَّمَ سُمَّرُ**

حيث قال: ماله قاتله الله، لقد صغر ما عظم الله، يقول الله عز وجل: " والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم" [44]. " [45]، حيث أخذ على عمر توظيفه لصيغة التصغير لكلمة قمر، ولعل ابن المسيب قد شط في نقده، حين ربط البيت بالآية الكريمة، كما أن التصغير ليس بالضرورة أن يحمل دلالة سلبية، فقد يكون التصغير للتقرب والتحبب وما إلى ذلك.

لقد اشترك النقاد من متذوقي الشعر في السمات العامة لأحكامهم النقدية، إذ جاءت أحكامهم عامة وغير معللة سوى القليل منها، وكانت تتراوح بين الاستناد إلى جزئية محددة من شعر عمر بن أبي ربيعة، للوصول إلى حكم نهائي واحد، يشمل كافة أعماله الشعرية في الغرض الواحد، وبين الاستناد إلى المجمل العام من شعر عمر، للحكم على شعره مقارنة بغيره من الشعراء، وقد لجأ نقاد هذه الطبقة لعدة أساليب أتاحت لهم التواصل مع الشاعر، والولوج إلى شعره، والتمكن من نقده وإبداء الرأي فيه، ومنها النقد المباشر، الذي يقوم على تتبع هفوات الشاعر في المعاني والألفاظ، ومنها عقد الموازنات الشعرية والمفاضلة بين شاعرين أو أكثر، وإطلاق الأحكام النقدية انطلاقًا من نقطة يشترك بها هؤلاء الشعراء المعنيين بالموازنة في شعرهم.

ولم يلجأ نقاد هذه الطبقة لتوظيف المصطلحات النقدية، في نقد شعر عمر بن أبي ربيعة، التي كانت شائعة آنذاك، سوى في بعض المواضع كالصدق والكذب، وكانوا يفضلون الاكتفاء بإطلاق أحكام عامة كأغزل العرب وأشعر الشعراء على هذا النحو.

وعلى الرغم من أن المقاييس، التي كان النقاد من متذوقي الشعر يلتفتون إليها في نقدهم لعمر بن أبي ربيعة، غير واضحة وغير مخصصة، إلا أنها يمكن أن تستخلص من خلال عدد من النماذج النقدية، ومنها القيم الأخلاقية، حيث رفض بعض النقاد شعر عمر، لما أخذوا عليه من إباحية، ودعوة للمعاصي، ومجافاة للخلق الحميد، والكذب في الشعر، ومن المقاييس النقدية، التي التفت إليها نقاد هذه الطبقة في شعر عمر، البراعة في التصوير، وإجادة القول في غرض الغزل، وفي هذا كان معظم النقاد يقفون إلى جانب عمر ويفضلونه على غيره فيه.

إن المتتبع للحركة النقدية في شعر عمر في العصر الأموي، ليجد أنها تسير في منحنى هرمي، تبعًا للمكانة الأدبية، لا سيما الشعرية منها لهؤلاء النقاد، فمن طبقة متذوقي الشعر من العامة الأقل خبرة ومعرفة بعلوم الشعر والأدب، إلى طبقة الرواة الذين كان لهم إلمام واسع بالشعر والأدب، وأخبار العرب، وتراجم الأدباء بحكم اتصالهم بالأدباء ونتاجاتهم بشكل مباشر، ويعد رواة الشعر من أبرز طبقات النقد، التي شاعت في العصور الثلاثة الأولى: الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي، نظرًا لاستناد الأدباء في حفظ نتاجهم على المشافهة، ولعل الأحكام النقدية التي كانت تصدر عن نقاد هذه الطبقة، ليشوبها الخلل في مصداقيتها وموضوعيتها في بعض الأحيان، "لانطلاق

---

(43) المصدر السابق، ص120

(44) القرآن الكريم، **سورة يس**، الآية 39

(45) **كتاب الأغاني**، ج1، ص84

أحكامهم من الذائقة العامة [46]" وميلهم لمن يلازمونهم من الشعراء ويروون عنهم، غير أن أحكامهم رغم كل ذلك تعد أحكامًا نافذة ولها دويها في أفق النقد الأدبي.

لقد سار النقاد الرواة، في نقدهم لشعر عمر، على نهج متذوقي الشعر، فكانت أحكامهم انطباعية جزئية، حيث يطلق الراوية حكمه على شعر الشاعر عامته، انطلاقًا من جزئية معينة استوقفته في بيت من الأبيات، دون الاكتراث لما قد تحمله سائر الأبيات من خلل أو محاسن، من شأنها أن تطغى على تلك الجزئية، فها هو حماد الراوية يحكم على شعر عمر بن أبي ربيعة، حين سئل عنه بقوله: " ذاك الفستق المقشر" [47]، مهملًا جانب التعليل، وتبيان الأسباب التي قد دفعته لاتخاذ مثل هذا الحكم على شعر عمر بأسره، ثم إن قضية إهمال جانب التعليل عند إطلاق الأحكام النقدية تسود لتشمل كافة الأطراف من الناقد والسائل والشاعر، فهم يكتفون بالحكم النهائي ويعدونه حاسمًا غير قابل للنقض والجدال.

لقد كانت أحكام الرواة على شعر الشعراء في بعض المواضع جائرة، تميل بهم كل الميل لما يوافق أهواءهم، فقد كان حماد الراوية يميل إلى شعر عمر بن أبي ربيعة كل الميل، حتى أن قد بلغ به الأمر إلى عدم تقبل من يرفض شعره ويقلل منه، إذ سئل ذات يوم: " ما تقول فيمن يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئًا؟ فقال أين هذا؟ اذهبوا بنا إليه. قالوا نصنع به ماذا؟ قال ننزوا على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر" [48]، لقد بدا حماد الراوية متعصبًا في حكمه، دون أن يفكر هو أو من سأله عن سبب ميله له، كأن القضية لم تكن قضية نقاد لا يعللون أحكامهم، إنما قضية جماهير لا تطلب التفسير ولا يسترعي انتباهها غير الحكم والنتيجة، ولربما لو سئل الناقد لأجاب وعلل.

وعلى الرغم من أن الرواة لم يتخذوا مقاييس محددة، للاستناد عليها في نقدهم لشعر عمر بن أبي ربيعة، إلا أنه لابد من منطلق ينطلقون منه في أحكامهم، ويمكن أن يستخلص منها، فوصف حماد الراوية لشعر عمر بأنه الفستق المقشر، يوحي بسلاسة تناوله، فهو سهل المأخذ طيب المعنى، وهذا يعني أنه كان ينظر إلى الشعر في مجمل صياغته من اللفظ والمعنى.

وبحكم التصاعد الهرمي في طبقات النقاد، تبعًا للدراية الأدبية والشعرية، تقف الدراسة عند طبقة النقاد من الخلفاء والأمراء، وشخصيات هذه الطبقة بحكم مكانتهم الاجتماعية والسياسية، يكونون في معظمهم ممن حاز قسطًا وافرًا من العلوم والمعارف والأدب، ومنهم من أوتي القدرة على نظم الشعر أيضًا، غير أنه قد اشتهر بغيره، ومعظمهم جعلوا من "قصورهم ميادين للندوات الأدبية، والمناظرات الشعرية [49]"، وقد اختلفت نظرة هؤلاء الخلفاء لشعر عمر بن أبي ربيعة، تبعًا لأذواقهم الفردية، وميولهم الأدبية والاجتماعية، ومن أبرز هؤلاء الخلفاء والأمراء: عمر بن عبد العزيز، والوليد بن عبد الملك.

أما عمر بن عبد العزيز، فقد انطلق في نقده لشعر عمر بن أبي ربيعة من موقفه العام من الشعر، فقد كان الشعر عنده مستكره، غير أنه "كان يقبل بما وافق مقاييسه النقدية، التي عرفت في عصر صدر الإسلام كمطابقة

(46) **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص165

(47) **كتاب الأغاني**، ج1، ص75

(48) المصدر السابق، ص76

(49) انظر: قصاب توفيق، جوال مسعود (2016)، **الانطباعية في النقد العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي**، الجزائر: جامعة زيان عاشور، ص51

الحق، والخلو من الكذب والتملق، والبعد عن فحش الكلام فيه [50]"، وهذه كلها تتعارض مع شعر عمر بن أبي ربيعة، لذلك فقد أطلق على شعره حكمًا عامًا وحاسمًا بقوله: "لا قرب الله قرابته، ولا حيّا وجهه أليس هو القائل:

أَلا لَيتَ أَنّي يَوْمَ حانَتْ مَنيَّتي * شَمَمتُ الَّذي ما بَينَ عَينَيكِ وَالفَمِ**

وَلَيتَ طَهوري كانَ ريقَكِ كُلَّهُ * وَلَيتَ حَنوطي مِن مُشاشِكِ وَالدَمِ**

وَيا لَيتَ سَلْمى في القُبورِ ضَجيعَتي* هُنالِكَ أَو في جَنَّةٍ أَو جَهَنَّمِ**

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا، ويعمل عملًا صالحًا، والله لا دخل علي أبدًا" [51].

كان عمر بن عبد العزيز يلتفت إلى المضامين الشعرية، ويقيسها بمقياس موافقتها للحق، ولعله قد وجد أن قصيدة واحدة كانت كافية للحكم على شعر عمر بن أبي ربيعة بأسره، فالفحش والجرأة في الأبيات التي عرضها، كانت كفيلة برد شعره كله تبعًا لها، فعمر بن عبد العزيز لا ينظر إلى الشعر من منظور فني وأدبي، إنما ينظر إليه من منظور اجتماعي وأخلاقي، وعمر بن عبد العزيز ليس شاعرًا، ولا هو من متذوقي الشعر ومحبينه، غير أنه كان مضطرًا للإقبال عليه، بوصفه لونًا من ألوان الثقافة السائدة في المجتمع.

وفي مقابل صورة نقد الخلفاء عند عمر بن عبد العزيز، تعرض صورة نقد الشعر عند الوليد بن عبد الملك، الذي كان يحب سماع الشعر ويطرب له، وكان يعجبه شعر عمر بن أبي ربيعة ويروقه، وقد أقبل لسماعه ذات مرة وهو في حضرة الكعبة المشرفة، حيث استنشد عمر، فأنشده غلاماه قصيدة عمر: "أمن آل نعم أنت غاد فمبكر، فطرب الوليد لذلك، وأجزل صلته" [52]، غير أنه لم يبد رأيًا ولا قدم في شعره نقدًا.

وكذلك الحال عند الأمير "الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذي كان ماجنًا محبًا للشعر، ومنشغلًا بصنوف اللهو [53]"، فقد تسامر مع أصحابه يومًا وسألهم عن أغزل بيت قالته العرب، فقال منهم ببيت لجميل بن معمر، وقال آخر ببيت لعمر بن أبي ربيعة يقول فيه:

كَأَنَّني يَومَ أُمسي لا تُكَلِّمُني * ذو بُغيَةٍ يَبتَغي ما لَيسَ مَوجودا**

فقال الوليد حسبك والله بهذا" [54]، معلنًا إعجابه، وميله لبيت عمر بن أبي ربيعة.

يبدو نقد الخلفاء لشعر عمر بن أبي ربيعة نقدًا موغلًا في السطحية، فهو لا يعدو كونه تعبيرًا عن إعجاب أو طرب به، ولم يكن نقدهم يسير ضمن أي من المقاييس النقدية التي عرفت في العصر الأموي وما قبله، سوى ما كان من عمر بن عبد العزيز، حين قيّم شعر ابن أبي ربيعة تبعًا لمقاييس الإسلام والخلق الحميد، غير أن شعره قد رفض بمجمله لمخالفته كل تلك المقاييس.

وفي أعالي الهرم الطبقي للنقاد، يقبع الشعراء والنظّام من مختلف ميادين الشعر، فهم من طبقات النقاد الذين حازوا خبرة ودراية في قول الشعر ونظمه، وكانوا يمثلون المثقفين والعارفين بمجريات القول ومكنوناته، وكانوا، في كثير من الأحيان، يحكِّمون أنفسهم لنقد الشعر ويحكَّمون، وقد سجلت كتب التأريخ الأدبي والنقدي الكثير من الأحكام النقدية التي أطلقوها على شعر عمر بن أبي ربيعة، وكان معظمهم من شعراء الحجاز مثل: نصيب بن رباح، وجميل بن معمر، ومن العراق: جرير والفرزدق، وكانوا ممن نظم في الأغراض المختلفة، ومنهم من عرف واشتهر بغير الغزل.

---

(50) انظر: **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص262

(51) **العقد الفريد**، ج1، ص337

(52) **كتاب الأغاني**، ج1، ص119

(53) **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص254

(54) **كتاب الأغاني**، ، ج1، ص 114

لقد كان نقد الشعراء نقدًا يعتد به لدى جماهير الأدب والشعر، وكان له دور بارز في تبديل نظرة النقاد لأشعار القرشيين، حتى قيل: أن "العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها، إلا في الشعر فإنها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضًا، ولم تنازعها شيئًا" [(55)]، وهذا إنما يدل على المكانة الشعرية التي بلغها شعر عمر لدى العرب عامة، وتفرده وتميزه بين أبناء قومه في قدرته الابتكارية في نظم الشعر.

ولم تكن الآراء النقدية، التي أصدرها الشعراء على شعر عمر بن أبي ربيعة، بعيدة عن آراء طبقات النقاد السابقة من متذوقي الشعر من العوام، والرواة والخلفاء، إذ" بدت انطباعية معممة، وغير مصحوبة بالتعليل [(56)]" أيضًا، فها هو نصيب بن رباح قد حكم لعمر في شعره بالتفوق على نفسه، وعلى سائر شعراء العصر في غرض الغزل حيث قال: "لَعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال" [(57)]، ويظهر حكم نصيب بن رباح مصحوبًا بشيء من الفخر والاعتزاز بابن ربيعة لبلوغه رتبة في الغزل فاقت من سواه، ولعل تأثره به في شعره، والسير على نهجه في شعر الغزل الصريح، لاعتراف ضمني بمدى إعجابه بشعر عمر ووقع تأثيره في نفسه.

ويشهد شاعر الغزل العذري، جميل بن معمر لعمر بتفوقه، حين سمعه ينشد قصيدته التي مطلعها:

"جَرى ناصِحٌ بِالوُدِّ بَيني وَبَينَها * فَقَرَّبَني يَومَ الحِصابِ إِلى قَتلي**

فقال: هيهات يا أبا الخطاب، لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد، وقام مشمرًا" [(58)]، ويبدو حكم جميل على نحو من سبقه حكمًا انطباعيًا غير معلل، يستند إلى الذوق بكل ما أوتي من قوة، كما يبدو مغمورًا بالانفعال العاطفي المصحوب بحركة القيام والتشمير، فكأنه يضع نقطة بعد حكمه فلا يجوز بعده نقض أو رأي يخالفه.

ينم نقد نصيب بن رباح وجميل بن معمر عن حالة من الركود في التوجه النقدي، من حيث الأساليب وطرق النقد، التي ظلت محصورة بين النقد المباشر والموازنات الشعرية، ومن حيث مسار الأحكام النقدية، حيث إن أحكامهم قد بدت مستنسخة، في عموميتها وبعدها عن الموضوعية والعلمية، من نقد النقاد من الطبقات الأقل حظًا في الإدراك الشعري، كما أنهم لم يأتوا بجديد، ولم يسيروا بالحركة النقدية قدمًا، وعلى النقيض من ذلك نجد بعضهم يقفون في وجه تلك التقلبات الانتقالية التي أحدثها عمر بن أبي ربيعة في شعره كما فعل كثير عزة، إذ أبدى حكمه النقدي في شعر عمر صراحة، حين أخذ عليه تشبيبه بنفسه في قوله:

"ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدّ في أَثَري * تَسْأَلُ أَهْلَ الطّوافِ عَنْ عُمَر**

وقال له: إنك لشاعر، لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك، ووالله لو وصفت بهذا هرة أهلك لكان كثيرًا" [(59)].

وفي بعض الوقائع النقدية كان كثير عزة يتبع أسلوبًا آخر غير النقد المباشر، والموازنات الشعرية، وهو أسلوب لم يقصد إليه بحكم التجديد والاختلاف، إنما هو أسلوب عفوي، رصدته مصادر الدراسات الأدبية والنقدية وسجلت رأيه في شعر عمر بن أبي ربيعة من خلاله، وذلك من خلال واقعة له أثارت انفعاله تجاه شعر عمر، وكشفت عما يضمره لشعره من حكم نقدي، فقد " شبب عمر بأخت طلحة الطلحات الخزاعي، فغضب لذلك، وقال أنا والله

---

(55) المصدر السابق، ص74

(56) **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص145

(57) **كتاب الأغاني**، ج1، ص74

(58) المصدر السابق، ص11

(59) ابن عبد ربه (1983)، **العقد الفريد**، تح: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ج6، ط1، ص217

لا أتمارى أن سيجر شأن شؤونا، ثم ذكر نسوة من قريش فساقهن في شعره حتى بلغ بهن إلى ملل.." [60]، فكثير عزة لا تروقه الجرأة في غزل عمر، ولا تنسبه ببنات قومه، ولا تشبيبه بنفسه أيضًا، فهو ينظر إلى شعره من منظور خلقي واجتماعي.

ولم يقف نقد شعر عمر بن أبي ربيعة على شعراء الحجاز وحسب، إنما تجاوز ذلك إلى العراق، فقد سمع جرير شعر عمر بن أبي ربيعة، إذ قال مخاطبًا رجلًا من أهل المدينة يطلب شعره: " إنكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب، وإن أنسب الناس المخزومي، يقصد عمر بن أبي ربيعة" [61]، وكسائر من سبقه من النقاد، يعمل على نقد شعر عمر نقدًا مباشرًا، ويتسم حكمه بالعمومية والبعد عن الموضوعية، كما أنه لا يلجأ فيه للتعليل، ولا يطلب منه السائل ذلك، كأنهما قد اتفقا في هذا الحكم مسبقًا.

وكان لشعر عمر بن أبي ربيعة وقعًا في نفس جرير، فهو وإن كان يميل إلى الهجاء، إلا أنه يروقه الغزل الصريح بلسان عمر، لإصابته المعنى الذي يرمي إليه، فهو في نظره شعر تهامي إذا أنجد وجد البرد" [62].

ولعل جرير يشير، في حكمه على شعر عمر في بعض المواضع، إلى قضية الطبع، فهو يرى أن عمر شاعر مطبوع قد سار الشعر على لسانه وجرى، حتى بدا كأنه يهذي به، فقد قال عندما سمع قول عمر:

"فَلَمّا تَلاقَيْنا عَرَفْتُ الّذي بِها * كَمِثْلِ الّذي حَذْوَكَ النّعْلَ بِالنّعْلِ**

ما زال يهذي حتى قال الشعر" [63].

ويتفق جرير مع صاحبه الفرزدق في حكمهما على شعر عمر، الذي بدت فيه ملامح التجديد العصرية، رغم إيغال العصر واغروراقه في الماضي العالق في مطالع القصائد، إذ يسمع قصيدة عمر ومطلعها:

" سائِلا الرَبعَ بِالبُلَيِّ وَقولا * هِجتَ شَوقاً إلى الغَداةَ طَويلا**

فيقول: إن هذا الذي كنا ندور عليه، فأخطأناه وأصابه هذا القرشي" [64].

وعلى الرغم من طرق جرير الرتيبة في ترصد الشعر ونقده، وفي أحكامه النقدية، التي بدت في ظاهرها جزئية مستنسخة عن أحكام نقاد الطبقات السابقة، إلا أنها تضمر توجهًا جديدًا نحو التعليل، فجرير لا يعلل أحكامه، لكنه يضمر علته ومقاييسه، التي وقف عليها في نقده كالتجديد، وإصابة المعاني، وهذا يعد تقدمًا نحو المرحلة الانتقالية في الحركة النقدية، وإن كان جرير يخلص من تلك المقاييس والتعليلات المضمرة، إلى أحكام عامة وسطحية كقوله أنسب الناس وأغزلهم.

وعلى ذات المنهج النقدي يسير الفرزدق في أحكامه، فهو يقول في شعر عمر: "هذا الذي كانت الشعراء تطلبه، فأخطأته وبكت الديار، ووقع هذا عليه" [65]، مشيرًا لحركة التجديد الشعري التي ابتدعها عمر بن أبي ربيعة، وكانت مناسبة لتحل محل الوقوف على الطلل في نظره، غير أنه يوظف عاطفته في حكمه، إذ تشغف نفس الفرزدق حين يسمع عمر بن أبي ربيعة ينشد قصيدة مطلعها:

" فَلَمّا اِلتَقَينا وَاِطمَأَنَّت بِنا النَوى * وَغُيِّبَ عَنّا مَن نَخافُ وَنُشفِقُ**

---

(60) **كتاب الأغاني**، ج1، ص217

(61) المصدر السابق، ص76

(62) المصدر السابق، ص81

(63) **العقد الفريد**، ج6، ص231

(64) **كتاب الأغاني**، ، ج1، ص106

(65) المصدر السابق، ص75

فيندفع بحكمه المعمم فيقول: أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس، لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب، ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية، وودعه وانصرف" [66]، ويبدو حكمه هذا عامًا غير مخصص، ولا يُعرف سبب دعاه للإدلاء به سوى اندفاعه العاطفي، ولا يكشف هذا الحكم سوى عن ميل الفرزدق لشعر عمر بن أبي ربيعة وإعجابه به.

وتجدر الإشارة في هذه الطبقة، إلى أحكام إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فهو مغن وشاعر، وله نظرات في الشعر، وقد أبدى حكمه في شعر عمر بن أبي ربيعة بقوله: إذا قسا عليك قلب القرشي من تهامة، فغنه بشعر عمر بن أبي ربيعة، وغناء ابن سريج" [67]، فكأنه بذلك يستحسن شعر عمر، لما فيه من رقة طبع وموسيقية لغوية وسلاسة معنوية، فهو يسير في حكمه على نهج شاعري العراق جرير والفرزدق، بما يضمره في أحكامه من مقاييس وتعليلات ينطلق منها لاتخاذ حكم عام سطحي على شعر الشاعر.

لقد بدت أحكام شعراء الحجاز والعراق واحدة من حيث عموميتها وسطحيتها، غير أن ثمة فروق دقيقة قد تستشف من أحكام هؤلاء الشعراء، ففصلت نقد شعراء الحجاز عن نقد شعراء العراق، الذي بدت فيه ملامح الانتقالية تنبض معلنة عن توجه جديد في النقد الأدبي لدى الشعراء، فعلى الرغم من أن أحكامهم كانت مطلقة غير مخصصة، إلا أنها تشير في مجملها إلى مقاييس معينة، اتخذت ضمنيًا للحكم على الشعر، ومنها التجديد في المضامين والأساليب، وإصابة المعنى، والقيمة الخلقية، وإجادة مخاطبة النساء في الغزل، غير أن الشعراء في نقدهم لم ينظروا إلى هذه المقاييس مجتمعة، إنما نظروا إليها بشكل فردي، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يقوموا بتوظيف أي من المصطلحات النقدية، التي من شأنها أن تميز أحكامهم، لكونهم من المثقفين شعريًا، عن أحكام العامة من متذوقي الشعر والرواة.

وفي رأس السلم الهرمي لطبقات االنقاد في العصر الأموي، تظهر نخبة من علماء النقد والشعر المثقفين الذين لهم باع واسع في الشعر والأدب وأخبار العرب ورواية الشعر، غير أنهم لا يصنفون من الشعراء، وكان لنقدهم أثر في تحريك مسيرة الشعر والنقد معًا، وقد عرض هؤلاء النقاد لشعر عمر بن أبي ربيعة على نحو مختلف عما بدا عليه نقد الطبقات السابقة، فقد أخذ النقد على أيديهم ينضج في مرحلته الانتقالية، ويسير من الانطباعية نحو المنهجية العلمية.

ويعد ابن أبي عتيق من أبرز شخصيات هذه الطبقة، و"له سجل حافل بالملاحظات النقدية في شعر عمر، لا سيما أنه كان ملازمًا له بحكم صحبته [68]"، وكان مما قاله: " لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر، وما عصي الله عز وجل بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة" [69]، فابن أبي عتيق بحكمه هذا يفرد شعر عمر بن أبي ربيعة عن غيره، ويميزه من جانبيه الإيجابي والسلبي، فيكشف فيه عن أمرين مكانته في النفوس وقدرته على جذب الأنباه، ومضامينه التي يعصي الله بها، ومن هنا تستشف موضوعية ابن أبي عتيق في أحكامه على الشعر، ونظرته المختلفة التي تؤسس للنقد البناء.

ولعل حكم ابن أبي عتيق بقوله: "وما عصي الله عز وجل بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة" [70]، لم يكن من السطحية لينظر إلى عصيانه الله في شعره كميزة يحمد عليها، كما ظن عبد العزيز عتيق حينما قال: " إن

---

(66) انظر: **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص390

(67) ابن عبد ربه (1983)، **العقد الفريد**، تح: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ج7، ط1، ص56

(68) انظر: **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص120

(69) **كتاب الأغاني**، ج1، ص98

(70) المصدر السابق، ص98

أحسن الشعر عند ابن أبي عتيق الناقد، إنما هو الشعر الذي يدعو إلى عصيان الله أو الإغراء به [71]"، فقد كانت مقولته أشبه بعبارة مبطنة تشير إلى المضامين الخلقية، والقيم المجتمعية، وطريقة عمر في تفاعله معها، وإلى روح عمر المفعمة بالطاقة الثورية، التي لم تتلقف ما ورثته من قيم وأساليب شعرية كما هي، إنما ألحت على رسم بصمة جديدة تبرز ذات الشاعر فيها، وعليه فإن ابن أبي عتيق ينظر إلى شعر عمر من جانبين: جانب موضوعي مضموني يتتبع من خلاله الفكرة التي تتمحور حولها أشعار عمر، وجانب فني يكمن في مظاهر التفرد والتميز في شعره.

لقد جمعت ابن أبي عتيق بعمر بن أبي ربيعة صحبة، غير أن هذه العلاقة لم تكن لتخرج ابن أبي عتيق عن حياده وموضوعيته في نقد شعر عمر بن أبي ربيعة، كما كان الحال لدى بعض النقاد من الرواة، فقد كان يفصل بين النقد وعلاقاته الشخصية، وكان يتتبع سقطات عمر، ويعذله عليها، لاسيما ما يتصل منها بالجانب المضموني الأخلاقي، وصلته بالواقع الخلقي لعمر بن أبي ربيعة، ومن ذلك أن "عمر وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، وقد مرت بهما امرأة فكتب لها عمر:

أَلماً بِذاتِ الخالِ فَاِستَطلِعا لَنا * عَلى العَهدِ باقٍ وُدُّها أَم تَصَرَّما**

وَقولا لَها إِنَّ النَوى أَجنَبِيَّةٌ * بِنا وَبِكُم قَد خِفتُ أَن تَتَمَّما**

فقال له ابن أبي عتيق: سبحان الله! ماذا تريد إلى امرأة مسلمة محرمة أن تكتب إليها مثل هذا؟" [72]، ففي هذا الموقف النقدي يربط ابن أبي عتيق بين خلق عمر بن أبي ربيعة في واقعه وفي شعره، حيث انتقد سلوكه في تعرضه للمرأة، وهو في حضرة القدسية المكانية، وعليها بنى نقده لقصيدة عمر التي كتبت في هذه الواقعة، حيث استخف بها لعدم انسجامها بالكلية مع الواقع اللحظي لشخص عمر بن أبي ربيعة، فلو أن هذه القصيدة قد كتبت في زمن ومكان آخرين، لكان لها حكم آخر عند ابن أبي عتيق.

ويربط ابن أبي عتيق في نقده بين المضمون الشعري والمسلمات الدينية والحيوية، ويحكم على الشعر تبعًا لتآلفهما أو تنافرهما، وعليه فقد أخذ ابن أبي عتيق على عمر بن أبي ربيعة تلاعبه بالمسلمات الدينية، والمفروضات في شعره، بغية تحقيق ملذاته في قوله:

" لَيتَ ذا الدّهْرِ كانَ حَتماً عَلَينا * كُلَّ شَهرَينِ حِجَّةً وَاِعتِمارا**

إذ علق عليه قائلًا: الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتم لك فسقك" [73]، فقد أدرك ابن أبي عتيق أن مقصد عمر من الحج والعمرة لم يكن لما فرضا له، فهو يرى فيهما بيئة جيدة لاصطياد معشوقاته، فأسبل له الرد كاشفًا عن إدراكه لمراميه بلهجة ساخرة.

ولم يكن عمر بن أبي ربيعة يصغي ويسلم لكل النقد الذي يتوجه به ابن أبي عتيق إليه، لا سيما ما يتصل منه بالجانب المضموني الخلقي، إنما كان في كثير من الأحيان يرد على منتقده ويبرر لنفسه، وقد يبلغ به الأمر أن يتملص من خطئه، إن شعر أنه محاصر بالفعل كما حدث معه حين أنشد:

" وما نِلتَ مِنها مَحرَماً غَيرَ أَنَّنا * كِلانا مِنَ الثَوبِ المُوَرَّدِ لابِسُ**

حيث انتقده ابن أبي عتيق وعلق عليه بقوله: أمنا يسخر ابن أبي ربيعة! فأي محرم بقي؟ وسأله: ألم تخبرني أنك ما أتيت حرامًا قط؟ فأخذ عمر يبرر ويتملص، فيخبره بقصة المطر الذي بلل زينب، فعلق عليه ابن أبي عتيق بقوله: هذا البيت يحتاج إلى حاضنة" [74]، ولعل ابن أبي عتيق ليدرك أن عمر يكذب في موضعه هذا سواء في مقصده

---

(71) **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص123

(72) المرجع السابق، ص396

(73) **كتاب الأغاني**، ج1، ص168

(74) المصدر السابق، ص100

من بيته، أو في القصة الكامنة وراء ذلك البيت الشعري، غير أن طريقة ابن أبي عتيق في الرد على عمر ساعة سمع البيت، وساعة سمع التعليل، تكشف عن مقياسه في الصدق والكذب في الشعر، فهو لم يتهاون مع الكذب الخلقي لدى عمر، فتراه هجوميًا اندفاعيًا ساعة تلقيه للبيت، بينما يبدو هادئًا متسامحًا حين أُطلع على ما استشفه من كذب فني في البيت الشعري ذاته.

وقد كان الكذب الخلقي في شعر عمر من أبرز الهفوات، التي تتبعها ابن أبي عتيق في نقده لشعره، فمن ذلك أن سمع ابن أبي عتيق قول عمر:

" وَمَن كانَ مَحزوناً بِإِهراقِ عَبرَةٍ * وَهى غَربُها فَليَأتِنا نَبكِهِ غَدا**

فقام وأخذ خالدًا الخريت، ومضيا قاصدين عمر، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك، ووالله لا نبرح، أو تبكي إن كنت صادقًا في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق، ثم مضى وتركه" [(75)].

ولم تقتصر أحكام ابن أبي عتيق، في شعر عمر، على تتبع الجانب الأخلاقي وحسب، فقد كان نقده له شاملًا اللغة والمضامين والأساليب أيضًا، وكان ابن أبي عتيق موضوعيًا في نقده له، وفي تتبعه لأخطائه وهفواته، ومن ذلك أن "أنشد ابن أبي عتيق قصيدة لعمر بن أبي ربيعة كان منها:

لا تَلوما في آلِ زَينَبَ إِنَّ الـ * قَلبَ في آلِ زَينَبَ عاني**

فقال معلقًا عليها: أما قلبك فقد غيب عنا، وأما لسانك فشاهد عليك" [(76)]، فكأنما يشكك ابن أبي عتيق بمصداقية عمر في بيته، فالحقيقة مغلفة في قلبه ولا يمكن لحي أن يطلع عليها، بينما لسانه الذي يقر بها غير مؤتمن إذ يشهد له على أية حال، ويبدو حكم ابن أبي عتيق على هذا البيت متصلًا مرتبطًا بالبيت نفسه، فكأنه جواب على قوله لا تلوما، ويتابع ابن أبي عتيق قصيدة عمر بن أبي ربيعة حتى إذا بلغ قوله:

" لَم تَدَع لِلنِساءِ عِندي نَصيباً * غَيرَ ما قُلتُ مازِحاً بِلِساني**

انتقد العاطفة في البيت بقوله: رضيت لها بالمودة، وللنساء بالدهفشة" [(77)]، إذ إن المعنى الذي يحمله البيت يتناقض وشيم المحب، وهذا ما يجعل العاطفة فيه ضعيفة وفاترة.

لقد توسع ابن أبي عتيق في نقده للمضمون بشقيه من الموضوع والعاطفة، واستند في نقده على مقياس الخلق، وتبعًا لهذا المقياس، أخذ يقيم المعنى والعاطفة التي تحكمه، بطريقة موضوعية، وأسلوب ساخر يخرج بالنقد عن جموده وحدته على الشعراء، وشكل نقد ابن أبي عتيق بذلك نقلة نوعية في مسار الحركة النقدية نحو العلمية.

وعلى الرغم من التجديد في أسس الأحكام النقدية عند ابن أبي عتيق، إلا أنه كان يتبع الطرق المتاحة في العصر الأموي للتوجه للشعر بالنقد، فكان يتبع أسلوب النقد المباشر، حيث يصغي لقصيدة عمر بن أبي ربيعة ويتوجه لها بالنقد وقوفًا على تلك الجزئيات، التي كانت تلفت أنباهه وتستفز قريحته، وكان يقف على المضامين الكلية والأساليب التصويرية، التي من شأنها أن تترك أثرًا في تشكيل المقصود، فيتوجه لها بالنقد المباشر، فمن ذلك أن "أخذ ابن أبي عتيق على عمر بن أبي ربيعة غزله المقلوب، وتشبيبه بنفسه بدلًا من النساء [(78)]"، إذ وجد أن هذا اللون من التشبيب يعد مغايرًا ومخالفًا لما عرفه الناس، ولعله لم يقصد بنقده له خروجه عن المألوف، وكسره للقواعد العرفية، فتشبيب عمر بنفسه يعد ضربًا من النرجسية غير المحمودة التي توحي بعدم صدق العاطفة، وانحرافها عن مسارها، فقد سمع ابن أبي عتيق قول عمر:

---

(75) المصدر السابق، ص152

(76) المصدر السابق، ص98

(77) المصدر السابق، ص101

(78) انظر: عبد العزيز عتيق (1972)، **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، بيروت: جامعة بيروت العربية، ص134

" قالَتِ الكُبرى أَتَعرِفنَ الفَتى * قالَتِ الوُسطى نَعَم هَذا عُمَر**
قالَتِ الصُغرى وَقَد تَيَّمتُها * قَد عَرَفناهُ وَهَل يَخفى القَمَر**

فعلق عليه قائلًا: أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك، كان ينبغي أن تقول: قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه" [(79)]، فقد رأى ابن أبي عتيق أن عمر بن أبي ربيعة قد شط عن مفهوم التشبيب والغزل، وعلق في دائرة غرض آخر يقع في دائرة الأنا، التي بدت عالية إلى حد مبالغ به، حيث يلقي بالآخر في فجوة التهميش.

هذا بالإضافة إلى أن تشبيب عمر بنفسه، وتصويره مطاردة النساء له، يعد من الكذب التصويري الذي لا ينسجم ومجريات الواقع وحقائقه، ومخالفته للمسلمات المجتمعية المتمثلة بحياء المرأة وعفتها، مقابل جرأة الرجل، حيث تعد جرأة المرأة في مثل هذه المواضع مذمومة، في حين تعد جرأة الرجل فيها مقبولة.

وتكشف الرواية النقدية السابقة عن منهج ابن أبي عتيق في نقده، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى موضع الخطأ وتعليل حكمه فيه، إنما يقترح حلًا وتصويبًا له، غير أن عمر بن أبي ربيعة كان يروقه هذا اللون من التشبيب، لما يمنحه من شعور بالتميز والتفرد، فهو لون غزلي مبتكر، كان عمر سباقًا إليه.

ومن الطرق التقليدية التي لجأ إليها ابن أبي عتيق في نقده للشعر، وقوفه على شعر شاعرين أو أكثر، وعقد موازنة بينهم انطلاقًا من جزئية معينة، فقد يوازن بين عمر وشاعر غيره في الغرض الواحد والموضوع الواحد، فيشير إلى ما لهما في الشعر وما عليهما، ومن ذلك أنه كان قد وازن بين قصيدتين إحداهما للحارث بن خالد يقول فيها:

" إِنّي وَما نَحَروا غَداةَ مِنىً * عِندَ الجِمارِ يَؤُودُها العُقلُ**
لَو بُدِّلَت أَعْلى مَساكِنِها * سُفلاً وَأَصبَحَ سُفلُها يَعلو**

والأخرى لعمر بن أبي ربيعة في ذات الموضوع، يقول فيها:

سائِلا الرَبعَ بِالبُلَيِّ وَقولا * هِجتَ شَوقاً لَيَ الغَداةَ طَويلا**

حيث أخذ ابن أبي عتيق على الحارث بن خالد أنه قلب ربع محبوبته، وجعل عاليه سافله، وقال ساخرًا: ما بقي إلا أن يسأل الله لها حجارة من سجيل، بينما كان عمر أحسن صحبة للربع منه " [(80)]، وقد وقف ابن أبي عتيق في موازنته بين الشاعرين، على أسلوب الشاعر في تأدية المعنى وصوره الشعرية، وأشار بوضوح إلى مواضع القوة والضعف لدى الشاعرين، حيث تمكن بذلك من المفاضلة بينهما، حتى بلغ خلاصة حكمه بأن " أشعر قريش من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته " [(81)]، وهذا ما التمسه في قصائد عمر بن أبي ربيعة ودفعه لتفضيله على صاحبه.

وعلى الرغم من سير ابن أبي عتيق، في نقده لشعر ابن أبي ربيعة، على تلك الطرق التقليدية المتمثلة بالنقد المباشر، وقوفًا على جزئية أو اثنتين من القصيدة، والحكم على كليتها من خلالها، وعقد الموازنات الشعرية بين شاعرين أو أكثر، إلا أنه لم يكتف بذلك، فقد سن طريقة جديدة لم تعرف في العصر الأموي، تتمثل في الوقوف على قصيدة ومتابعة سائر أبياتها للوصول إلى حكم سليم فيها، وقد يقف ابن أبي عتيق على قصيدة لعمر فيحللها وينقدها بيتًا بيتًا، ثم إنه لم يتوان عن تتبع مآخذه في الشعر، وتعليل وجهة نظره فيها، واقتراح حلول لتصويبها، ومن ذلك وقوفه على قصيدة لعمر جاء فيها:

"ثُمَّ قالَت لِأُختِها قَد ظَلَمنا* إِن رَدَدْناهُ خائِباً وَاِعتَدَينا**

---

(79) **كتاب الأغاني**، ج1، ص119
(80) المصدر السابق، ص109
(81) المصدر السابق، ص109

فقال له: أحسنت والهدايا وأجدت، وتابع عمر قصيدته قائلًا:

في خَلاءٍ مِنَ الأَنيسِ وَأَمنٍ* فَشَفَينا غَلَيلَهُ وَاِشتَفَينا**

فقال له أمكنت للشارب الغدر من عال بعدها فلا انجبر، ولما بلغ عمر قوله:

كانَ ذا في مَسيرِنا إذ حَجَجْنا* عَلِمَ اللَهُ فيهِ ما قَد نَوَينا**

قال له ابن أبي عتيق: إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه فأرود التفسير، ولئن مت لأموتن معك أف للدنيا بعدك يا أبا الخطاب "[82]، ويكشف هذا النص النقدي لابن أبي عتيق عن البوادر الأولى للنقد المنهجي، الذي يقوم على التعليل، ولا يكتفي بإصدار الأحكام المعممة من خلال الوقوف على جزئية واحدة منها، بل متابعة سائر أجزاء القصيدة للوصول إلى حكم نقدي سليم، فابن أبي عتيق وإن كان قد وقف في نقده على أبيات متناثرة من القصيدة الواحدة، وتوجه بالنقد لكل بيت على حدة، إلا أنه يعد أول من أسس للنقد المنهجي المعلل الذي يتناول القصيدة بسائر أبياتها في العصر الأموي.

المطلب الثاني: شعر عمر بن أبي ربيعة في مرآة النقد المنهجي

لقد سارت الحركة النقدية، كما سار الشعر في عدة مراحل تأصيلية تتمثل بالصورة النموذج، التي احتذت بها الأجيال التالية، على حد سواء في الشعر أو النقد، فقد ظل النقد في صورته الأولى في المرحلة التأصيلية في العصر الجاهلي انطباعيًا جزئيًا، يستند إلى حكم الذائقة العامة، في حين أخذت تتغير هذه الصورة النموذج في العصور التالية بالتدريج، من خلال ظهور التعليلات، وإضمار بعض المقاييس النقدية، حتى بلغت صورة النقد أوجها على يدي ابن أبي عتيق في العصر الأموي، الذي عد بحق البذرة الأولى للنقد العلمي الممنهج.

وقد كان لاتساع البيئة المكانية بامتداد الزمان في مطلع القرن الثاني، أثر بالغ في تسيير الحركة النقدية نحو العلمية والمنهجية، إذ اختلطت الأجناس العربية بغيرها من الأمم، فاتسعت حركة الترجمة، وقد انعكس ذلك على الذائقة الأدبية لتكتسب نوعًا من العالمية، وانتشرت حركة التدوين في الأوساط العربية، وظهرت المصنفات الأدبية والنقدية وتنوعت [83]، وقد أخذ النقاد منذ مطلع القرن الثاني يرصدون في مصنفاتهم العمليات النقدية، ويتتبعون مجرياتها عبر العصور الأولى، فاستوت عندهم المقاييس النقدية، والمعايير التي وظفها الأوائل للحكم على الشعر والشعراء، وظهر نظام الطبقات النقدية، وأصبح نقد الشعر عملية منهجية ذات أسس وقيم تحتكم إلى الخبرة في ميداني النقد والأدب، ومعرفة واسعة بالتاريخ، وتراجم الشعراء، ولم يعد النقد متاحًا لكل سامع للشعر متذوق له.

لقد أصبح النقد علمًا يختص به أهل الطبقة السادسة، تبعًا للترتيب الهرمي الذي انتهجته الدراسة في المطلب السابق، وهم النقاد الذين ألموا بمعرفة الشعر، وعلوم اللغة، والأدب وتاريخه وتراجم الشعراء، واطلعوا على نقد الأوائل، ولهم مصنفات أدبية في ذلك، أمثال ابن سلام الجمحي [84]، والجاحظ، وابن قتيبة وغيرهم، وقد عرض نقاد هذه الطبقة لشعر عمر بن أبي ربيعة وشخصه، وقاموا بنقده تبعًا للمقاييس والمعايير النقدية التي رصدوها وقعدوا لها في مصنفاتهم.

وقف الأصمعي على شعر عمر بن أبي ربيعة، ونظر في لغته، وتتبع أقوال من سبقه من أهل اللغة والنقد في شعره، وخلص إلى حكمه" بأنه شاعر مولد وهو حجة، لما سمع عن أبي عمرو بن العلاء، بأنه قد احتج في النحو

(82) ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده، ص212 – ص213

(83) ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده، ص270

(84) المرجع السابق، ص 276

بشعره وقال أنه حجة "[85]، وهو ينظر إلى شعر عمر بن أبي ربيعة من ناحية أهليته للاحتجاج باللغة، مندفعًا في ذلك بحكم اهتمامه بميدان اللغة، فعلى الرغم من أن عمر بن أبي ربيعة يعد شاعرًا مولدًا، إلا أن لغته قوية أصيلة، لم يمسسها لحن في شعره سوى ما" أخذ عليه في موضع واحد من كل نتاجه الشعري، ويتمثل في قوله:

ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قُلتُ بَهراً * عَدَدَ الرَّمْلِ وَالحَصى وَالتُرابِ"** [86]

وقد توصل الأصمعي إلى هذا الحكم على شعر عمر، انطلاقًا من رواية أخذها عن أبي عمرو بن العلاء النحوي، وعليه فقد لجأ في توثيق أحكامه للمرويات التاريخية، والأخبار المنقولة، لا إلى أحكام ومقاييس علمية مختصة بالنقد.

أما من الناحية الشخصية، فقد كان الأصمعي يروقه شعر عمر بن أبي ربيعة ويستحسنه، إذ "سأله الرشيد أن ينشده أحسن ما قيل في رجل لوحه السفر، فأنشده قول عمر بن أبي ربيعة:

رَأَت رَجُلاً أَمّا إِذا الشَمسُ عارَضَت * فَيَضحى وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ**

أَخا سَفَرٍ جَوّابَ أَرضٍ تَقاذَفَت * بِهِ فَلَواتٌ فَهوَ أَشعَثُ أَغبَرُ"** [87]

ولم يشر الأصمعي إلى سبب اختياره واستحسانه لشعر عمر بن أبي ربيعة، وهو في موضع آخر يصف شعر عمر بقوله: " إنه الفستق المقشر الذي لا يشبع منه" [88]، إن أحكام الأصمعي هذه لتشكل امتدادًا للنقد الانطباعي، الذي كان معروفًا في العصور السابقة، حيث إن النقد في مطلع القرن الثاني لم يتحول بالكلية إلى النقد العلمي الممنهج، وظل النقد الانطباعي يتخلله من حين لآخر، على النحو الذي التُمس في نقد الأصمعي لابن أبي ربيعة.

وابن سلام الجمحي، كان قد أشار إلى شعر عمر بن أبي ربيعة في موضع من كتابه، من خلال حديثه عن الأغراض الشعرية، ومن عرف بها واشتهر، وعقد موازنة سطحية بينه وبين عبيد الله بن قيس الرقيات، دون ذكر أبيات من شعريهما، وحكم فيها لعمر بن أبي ربيعة بتفوقه عليه في الغزل، إذ قال: " وكان غزلًا، يقصد ابن قيس الرقيات، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة، وكان عمر يصرح بالغزل ولا يهجو، ولا يمدح" [89]، وعلى الرغم من أن "ابن سلام الجمحي كان من أوائل المؤسسين للنقد المنهجي [90]"، إلا أنه لم يتمكن من التخلص من أثر النقد الانطباعي، فكثيرًا ما كان يطلق على الشعراء أحكامًا عامة وانتقائية وغير موضوعية ولا تستند إلى معايير النقد العلمية.

وكان ابن سلام قد "تجاوز عمر بن أبي ربيعة وشعره في كتابه، فلم يدرجه في طبقاته على الرغم من أنه شاعر مجيد" [91] وكان قد حكم له بالتفوق في الغزل في موضع حديثه عن ابن قيس الرقيات، ولا يعرف سبب إسقاطه له من طبقاته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن النقد عند ابن سلام، لم يزل انطباعيًا، وأنه لا يزال يحكّم ذائقيته في انتقاء شعراء الطبقات وإسقاط غيرهم.

وأما ابن قتيبة فقد عرض لحياة عمر بن أبي ربيعة وشعره في كتابه، ووقف على بعض مواضع متفرقة من شعره، واستحسن أبياتًا منها من حيث المعاني، "ففي باب المساعدة يستحسن قوله:

---

(85) الأصمعي (1953)، **فحولة الشعراء**، تح: عبد المنعم خفاجي، طه محمد الزيني، القاهرة: المطبعة المنيرية، ط1، ص32

(86) المصدر السابق، ص50

(87) **كتاب الأغاني**، ج1، ص82

(88) **العقد الفريد**، ج6، ط1، ص230

(89) ابن سلام الجمحي (2001)، **طبقات الشعراء**، بيروت: دار الكتب العلمية، ص186

(90) **ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده**، ص283

(91) **طبقات الشعراء**، ص25

أَرَدتُ رَشادَهُ جَهدي فَلَمّا* أَبى وَعَصى أَتيَناها جَميعا"** [92]

ثم يعود و"يستحسن من شعر عمر معنى آخر في نحول البدن إذ يقول:

قَليلاً عَلى ظَهرِ المَطِيَّةِ شَخْصُهُ* خَلا ما نَبى عَنهُ الرِداءُ المُحَبَّرُ"** [93]

ولا يزيد على ذلك في استحسانه من المعاني، كما أنه لا يتطرق لنقد الأساليب الفنية في شعر عمر، بالإضافة إلى أنه لم يقم بتوظيف أي من المقاييس النقدية في أحكامه عليه، وعليه فإن نقده يميل إلى الانطباعية والجزئية، فهو لم يزد في نقده التطبيقي على ما أتى به نقاد العصرين الجاهلي والإسلامي، سوى أن دون استحسانه هذا في مصنف، مع ما يسرده له من أخبار.

وقد ينظر ابن قتيبة إلى شعر عمر بن أبي ربيعة من منظور الصدق والكذب، فيشير إلى تشككه من صدقه من خلال إشارة عابرة يسرد خلالها الأبيات المعنية، فهو يقول: " وكان يشبب بسكينة وفيها يقول كذبًا عليها" [94]، غيرأن تلك الإشارة لا تعد بحق تطبيقًا علميًا للمعايير النقدية التي نظّر لها في كتابه.

وأما ابن طباطبا، فيعرض للقضايا النقدية على نحو مختلف عما فعله سابقوه وأكثر تنظيمًا، فهو يذكر القضية ويطرح عليها نماذج من الشعر، غير أنه لا يتوسع في نقد الشاعر من كافة جوانب القضايا النقدية، إنما يكتفي بالوقوف على بيتين من شعر عمر بن أبي ربيعة في كتابه عيار الشعر، حيث يبدي استحسانه لهما، كنموذج يمثل معيار الطبع في صياغة المعاني، بعد إدراجه للبيتين:

"غَفَلنَ عَنِ اللَيلِ حَتّى بَدا* تَباشيرُ مِن واضِحٍ أَسفَرا**

وَقُمنَ يُعَفّينَ آثارَنا* بِأَكسِيَةِ الخَزِّ أَن تُقفَرا**

بقوله: المستحسن من هذه الأبيات حقائق معانيها الواقعة لأصحابها، الواصفين لها دون صنعة الشعر وأحكامه، " [95].

إن هؤلاء النقاد كابن سلام، وابن قتيبة، وابن طباطبا، وإن كانوا قد نظروا إلى شعر عمر بن أبي ربيعة من منطلق بعض المعايير النقدية التي أسسوا لها في مصنفاتهم، إلا أنهم لم يتناولوا من شعر عمر غير جزئيات متفرقة، لا تغطي سائر المعايير النقدية التي نظّروا لها في مصنفاتهم، وهذا يكشف عن وقوعهم في الفجوة الواقعة بين التنظير والتطبيق من جهة، وبين الانطباعية والمنهجية من جهة أخرى.

ويعرض المرزباني لشعر عمر بن أبي ربيعة، من خلال تتبع القضايا النقدية في كتابه الموشح، على النحو الذي سار عليه ابن طباطبا من حيث الاستشهاد بشعره وشعر غيره على تلك القضايا، غير أنه لم يكن يذكر حكمه الخاص بالشعر، إنما كان يلجأ للاستعانة بالمرويات النقدية، ومواقف السابقين من تلك القضايا، فكأنما هو يعمل على إعادة ترتيب آراء القدماء في النماذج الشعرية من خلال تصنيفها تبعًا للقضايا النقدية التي يشير إليها في كتابه، فهو يشير إلى حكم ابن أبي عتيق في شعر عمر في قضية الصدق، إذ رأى أن قول عمر:

" فَعِدي نائِلاً وَإِن لَم تُنيلي* إِنَّما يَنفَعُ المُحِبَّ الرَجاءُ**

وقوله:

لَيتَ حَظّي كَطَرفَةِ العَينِ مِنها* وَكَثيرٌ مِنها القَليلُ المُهَنّا**

---

(92) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تح: أحمد شاكر، بيروت: دار المعارف، ج1، ص556

(93) المصدر السابق، ص556

(94) المصدر السابق، ص554

(95) ابن طباطبا (2005)، **عيار الشعر**، تح: عباس عبد الساتر، بيروت: دار الكتب العلمية، ص88

أصدق وأكثر إقناعًا من قول كثير عزة في شعره" [96]، وعلى الرغم مما كشفه المرزباني من صدق عمر ابن أبي ربيعة في شعره، إلا أنه يعرض له جانبًا آخر يظهر مبالغته في تصويره للمعاني، من خلال عرض قصته مع كثير عزة، الذي أخذ عليه مجافاته للصدق العاطفي، بتشبيبه بنفسه ومغالاته في ذلك [97].

ويظهر عمر بن أبي ربيعة في كتاب الموشح ناقدًا ومنتقَدًا، وذلك من خلال سرد روايته مع الأصمعي الذي أنشد:

" لأَنتِ إلى الفؤادِ أَشَدُّ حُبّاً* مِنَ الصَّادِي إِلَى الكأسِ الدِّهاقِ**

فقال له عمر: ما تركت لي شيئًا وقد أغرقت في شعرك، فقال له: كيف أغرقت في شعري وأنت الذي تقول:

إذا خَدِرَت رِجلي أَبوحُ بِذِكرِها* لِيَذهَبُ عَن رِجلي الخُدورُ فَيَذهَبُ**

فقال الأصمعي: الخدور يذهب والعطش لا يذهب" [98]، حيث يشير من خلال هذه الرواية إلى قضية المبالغة في الصنعة، وتصوير المعاني، ويبدو فيها عمر مغرقًا في صنعته إلى حد بعيد جعل الأصمعي يعيب عليه ذلك.

وعلى الرغم من أن وقفة المرزباني النقدية لم تكن تغطي سوى بضعة أبيات من شعر عمر بن أبي ربيعة، وطرح ما اتفق معه من آراء النقاد والشعراء القدماء فيها دون إضافة ما هو جديد بشأن شعره، إلا أنه قد اتبع منهجًا نقديًا، يقوم على حشد النماذج الشعرية، وآراء النقاد مدرجة تحت كل قضية، ليبدأ بذلك مرحلة تهيء لظهور لون نقدي أكثردقة ومنهجية.

وسار أبو هلال العسكري، في نقده لشعر عمر بن أبي ربيعة وغيره من الشعراء، على نهج المرزباني من حيث عرض آراء النقاد، وتصنيفها، تبعًا لترتيب القضايا النقدية التي يطرحها في كتابه، فمن ذلك عرضه في باب الرديء من النسيب ما أُخِذ على عمر في قوله:

" أَشارَتْ بِمِدراها وَقَالَتْ لِأُخْتِها* أَهذا المُغيريّ الّذي كانَ يُذْكَرُ**

إذ أن الإيماء لا ينبئ عن هذه المعاني كلها [99]"، وهذا نقد أبي هلال العسكري نفسه، وكان متأثرًا فيه بنقد الحارث بن الجميز، الذي أشار للعيب في هذا البيت قبله، إذ لم يستحسن الإشارة التي اختارها عمر في بيته، ورأى أنها لا تلزم إلا إذا قصدت فقأ عينه، بينما كان أوجب أن تشير عليه بالطيب من أصناف الطعام" [100]، وهي من نماذج النقد المعلل في العصر الأموي، إذ إن أبا الحارث بن جميز لم يكتف بعدم الاستحسان وتعليل ذلك وحسب، إنما اقترح البدائل من المعاني التي كانت ينبغي، تبعًا لرأيه، أن تحل محل إشارة الفتاة في بيت عمر.

ومن ذلك أن أبا هلال العسكري كان قد أخذ رواية عن عمر إذ أنشد: "تشط غدًا دار جيراننا

فقال ابن عباس: وللدار بعد غد أبعد. فقال: عمر والله ما قلت إلا كذلك.

ويدرج هذه الرواية في باب السرقات الشعرية، والأخذ المعيب، فهو يرى أن الأخذ معيبًا وإن ادعى أن الآخر لم يسمع قول الأول، بل وقع لهذا كما وقع لذاك، فإن صحة ذلك لا يعلمها إلا الله عز وجل، والعيب لازم للآخر" [101]،

---

(96) المرزباني (1995)، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ص138

(97) انظر: المصدر السابق، ص196

(98) المصدر السابق، ص270

(99) أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، ص120

(100) **كتاب الأغاني**، ج1، ص83

(101) **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، ص236

وهذه الرواية قد رويت في كتاب الأغاني وتناقلها الرواة، غير أن أبا هلال العسكري أشار إليها في كتابه، وأضفى حكمه فيها، وقد عدها من سرقات عمر بن أبي ربيعة.

ووقف أبو هلال العسكري على بعض المواضع من شعر عمر بن أبي ربيعة، يظهر فيها غزله المقلوب، وتشبيبه بنفسه في قوله:

" قالَت لَها أختها تُعاتِبُها* لَاتُفسِدِنَّ الطَوافَ في عُمَرِ**
قومي تَصَدَّي لَهُ لِيُبصِرَنا* ثُمَّ اِغمُزيهِ يا أُختُ في خَفَرِ**
قالَت لَها قَد غَمَزتُهُ فَأَبى* ثُمَّ اِسبَكَرَّت تَسعى عَلى أَثَري**

وقد عد ذلك مأخذًا في النسيب، هذا بالإضافة إلى وقوعه في التناقض مع نفسه، حيث ذكر نهي الفتاة أختها عن إفساد الطواف، ثم جعلها تقول تصدي له ليبصرنا" [(102)]، وهذا نقد أبي هلال العسكري لم يسبقه إليه ناقد سوى ما كان متصلًا بتشبيب عمر بنفسه.

وهذا يعني أن أبا هلال العسكري لم يكن يكتفي بالوقوف على آراء من سبقه من النقاد، ويسرد أحداثها وروايتها، إنما كان يضفي حكمه الخاص بمآخذهم في شعره، تبعًا للقضية النقدية التي يعرض لذكرها، ومن هنا تأخذ الحركة النقدية المنهجية صورتها الناضجة التي تستوي فيها بين النظرية والتطبيق إلى حد ما.

ويعرض ابن رشيق القيرواني في عمدته لصور من نقد عمر بن أبي ربيعة يرويها كما نقلها الرواة، فمن ذلك أنه يروي موقف مصعب الزبيري، من توجه عمر في الأغراض الشعرية نحو الغزل، واقتصاره عليه واشتهاره به، حتى كان مقياسًا للشعراء، إذ يقول" والعباس عمر العراق، ويريد بذلك أن العباس في العراق كعمر في الحجاز استرسالًا في الكلام وأنفة عن المدح والهجاء" [(103)]، ويبدو دور ابن رشيق القيرواني في هذه الرواية النقدية مقتصرًا على توضيح وتعليل حكم مصعب الزبيري الذي عرف بنقده الانطباعي غير المعلل.

ويورد ابن رشيق رأيًا لقوم كانوا قد عمدوا لتوزيع الشعراء في طبقات، تبعًا لبراعتهم الشعرية فيقول: " وقال قوم بل الثلاثة مهلهل وابن ربيعة وعباس بن الأحنف، ويعلق عليه بقوله: وهذا قول من يؤثر الأنفة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد، ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان العباس، لكن أبا العتاهية تصرف" [(104)]، فيوضح ويعلل سبب انتقاء القوم وترجيحهم لهؤلاء الشعراء الثلاثة بعد أن كانوا قد اكتفوا بإدلاء الحكم دون تعليل منهم.

إن ابن رشيق، في سرده للآراء النقدية من خلال المرويات، لا يكتفي بتصنيف الآراء تبعًا لأبواب القضايا النقدية التي يعرضها، إنما يضفي عليها شرحه وتفسيره للأسباب التي دفعت النقاد للإدلاء بتلك الأحكام، لاسيما أن أحكامهم النقدية كانت انطباعية غير معللة، في حين لا نلتمس حكمًا خاصًا بابن رشيق القيرواني.

لقد عرض النقاد منذ طليعة القرن الثاني الهجري لنقد شعر عمر بن أبي ربيعة وغيره من الشعراء، من خلال مصنفاتهم النقدية، التي تدرجت في منهجيتها تبعًا للتسلسل الزمني، إذ قام أوائل هؤلاء النقاد مثل: الأصمعي، وابن سلام الجمحي، وابن قتيبة بالتنظير للأحكام النقدية التي كانت تقوم على معايير وأسس منهجية، غير أنهم قد وقعوا في فجوة، أحالتهم في معظم تطبيقاتهم النقدية على الشعر إلى النقد الانطباعي، فقد كانوا يقفون على بضعة أبيات للشاعر، ويشيرون من خلالها إلى حكم يستند إلى معيار نقدي حينًا، وحكم انطباعي غير معلل حينًا آخر، بينما

---

(102) المصدر السابق، ص121

(103) ابن رشيق القيرواني (1981)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل، ج1، ط5، ص84

(104) المصدر السابق، ص100

تابع من تلاهم من النقاد مثل: ابن طباطبا، والمرزباني، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، نقد الشعر على منحى أكثر منهجية وأقرب إلى العلمية منه إلى الانطباعية، فمنهم من أخذ يجمع الآراء النقدية السابقة، ويعيد تصنيفها وإدراجها موزعة تحت أبواب من القضايا النقدية المختلفة، ومنهم من أخذ تلك الآراء النقدية غير المعللة، وبات يعللها ويبين أسباب تلك الأحكام وظروفها، ومنهم من أخذ يتتبع المآخذ الشعرية لعمر بن أبي ربيعة وغيره من الشعراء وإطلاق أحكام جديدة عليها.

الخـاتمـــة.

وقفت الدراسة على ما مرت به الحركة الشعرية لعمر بن أبي ربيعة، من أطوار انتقالية انعكست بدورها على الحركة النقدية، التي اتصلت بها بعلاقة طردية يتحقق فيها التوافق المنشأي والازدهاري عبر عصور التاريخ الأدبي، كما رصدت تأثر مسار شعر عمر بن أبي ربيعة ببيئته الزمكانية من جهة، وبيئته الفسيولوجية الداخلية من جهة أخرى، وتأثر الحركة النقدية كذلك بتلك البيئة الزمكانية، والبيئة الفسيولوجية لعمر بن أبي ربيعة أيضًا، إذ شهد شعره محطات من الازدهار في فترة شبابه، أدت إلى إنعاش الحركة النقدية حول شعره على مستوى الكم والنوع، من حيث الانطباعية غير المعللة، والانطباعية المعللة عند ابن أبي عتيق.

وأشارت الدراسة إلى أثر التقدم الزمني في شعر عمر بن أبي ربيعة، إذ أخذ بالانحدار على المستويين الكمي والنوعي، فقد قل شعره وامتنع عن قوله في كثير من الأحيان، واتجه به نحو النسك الذي لم يلق قبولًا، ولم يحقق تآلفًا مع البيئة المكانية المترفة اللاهية في ذلك الوقت، كما تتبعت أثر ذلك الانحدار الذي كان قد انعكس بشكل مباشر على الحركة النقدية لشعر عمر، التي أخذت تقل إلى حد كادت تنعدم فيه.

وتتبعت الدراسة الحركة النقدية، التي تلت فترة الانتهاء المرحلي لشعر عمر، الذي رافق انتهاء حياته ووفاته، إذ إن ذلك الانتهاء لم يكن بوسعه إنهاء الحركة النقدية وأثرها في شعر عمر، فشعره الخالد كان كفيلًا بإعادة إنعاش الحركة النقدية من جديد، ولكن على نحو يتآلف مع البيئة الزمكانية تآلفًا طرديًا، إذ إن البيئة التي اتسعت وامتدت وتقدم بها الزمان وأكسبها لونًا حضاريًا فريدًا، لاسيما ما كان منه على المستوى الثقافي والعلمي، قد كست الحركة النقدية بوشي من العلمية والمنهجية، فكثرت المصنفات النقدية، وارتقى النقاد بنقدهم الذي عمد إلى تناول شعر عمر ونقده بأسلوب علمي ومنهجي، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- مر شعر عمر بن أبي ربيعة بمرحلتين متغايرتين، تمثلت أولاهما في مرحلة الشباب، التي كشفت عن أثر الاضطراب العاطفي، المتمثل في نرجسية عمر وميوله نحو ذاته، وتعشقه نفسه من خلال النساء، ومرحلة النسك، التي شكلتها ملامح التقدم بالزمن، والشيخوخة التي أيقظت عمر بن أبي ربيعة ومنحته نوعًا من التوازن النفسي.
2- تأثر الحركة النقدية بالمسار المرحلي الزمني لشعر عمر بن أبي ربيعة، حيث انتعشت في فترة الشباب، إثر تحقق الانسجام بين الميول النفسية للشاعر ومتطلبات البيئة المترفة في الحجاز، وانتكست إثر اختلال ذلك الانسجام، باستسلام عمر لإحداثيات الشيخوخة، وتراجعه عن ميوله العاطفي تجاه نفسه، وتوجهه نحو شعر التنسك الذي لم يلق قبولًا من أهل الحجاز، ولم ينسجم مع طبيعة الحياة اللاهية فيها.
3- تباينت المواقف النقدية واختلطت بين الأحكام الشخصية المتمثلة في التكوين النفسي والخلقي لعمر ابن أبي ربيعة، وبين الطابع الشعري الذي اكتسب خاصية التشككية لمزجه بين الواقع المتخيل والواقع المعيش.
4- اتسمت الحركة النقدية لشعر عمر بن أبي ربيعة، التي سادت بين العصر الأموي ومطلع القرن الثاني بالانطباعية، إذ اعتمدت على الذائقة العامة للنقاد، الذين تفاوتوا في مراتبهم بين متذوقي الشعر، والشعراء،

والخلفاء، كما كانت جزئية انتقائية ينطلق فيها الناقد بالحكم على شعر عمر بأسره من جزئية بعينها، دون الإشارة لتلك الجزئية أو تعليل سبب ذلك الحكم.

5- ظهرت بوادر النقد المنهجي لشعر عمر بن أبي ربيعة في العصر الأموي على يدي ابن أبي عتيق، الذي اتسم نقده بالموضوعية وعدم الانحياز، وكان معللًا في معظمه.

6- أخذت الحركة النقدية تتجه نحو المنهجية العلمية منذ القرن الثاني، غير أن الأحكام الانطباعية كانت تتخللها، وتطغى عليها في كثير من الأحيان، كما هو الحال في نقد الأصمعي وابن سلام الجمحي وابن قتيبة.

7- استقرت الأحكام النقدية على طابعها المنهجي العلمي بعد القرن الثاني، حيث أخذ النقاد يعللون الأحكام غير المعللة، ويرتبونها في أبواب تبعًا للقضايا النقدية التي تندرج تحتها، ويضيفون إليها آراءهم وأحكامهم الخاصة التي تقوم على أسس ومعايير محددة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.

1- الأصمعي (1953)، **فحولة الشعراء**، تح: عبد المنعم خفاجي، طه محمد الزيني، القاهرة: المطبعة المنيرية

2- الجاحظ (1965)، **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، الكتاب الأول، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

3- ابن رشيق القيرواني (1981)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل

4- ابن سلام الجمحي (2001)، **طبقات الشعراء**، بيروت: دار الكتب العلمية

5- ابن طباطبا (2005)، **عيار الشعر**، تح: عباس عبد الساتر، بيروت: دار الكتب العلمية

6- ابن عبد ربه (1983)، **العقد الفريد**، تح: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية

7- عمر بن أبي ربيعة (1996)، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، بيروت: دار الكتاب العربي

8- أبو الفرج الأصفهاني (1952)، **كتاب الأغاني**، القاهرة: دار الكتب المصرية

9- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تح: أحمد شاكر، بيروت: دار المعارف

10- المرزباني (1995)، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، بيروت: دار الكتب العلمية

11- أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.

المراجع:

1- عامر مفاز (2016)، مكونات البيئة في العصر الجاهلي دراسة أنثروبولوجية معلقة الحارث بن حلزة أنموذجًا، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي

2- عبد العزيز عتيق (1972)، ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده، بيروت: جامعة بيروت العربية

3- عبد العزيز عتيق (1972)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار النهضة العربية

4- فاطمة الشمري (2010)، الغزل الحجازي الحضري في العصر الأموي دراسة في البنيوية التكوينية، جامعة القصيم

5- قصاب توفيق، جوال مسعود (2016)، الانطباعية في النقد العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي، الجزائر: جامعة زيان عاشور
6- ممدوح الجزولي (2010)، صورة العصر في شعر عمر بن أبي ربيعة، جامعة الخرطوم

المجلات:

1- محمد حسن أمرائي، شهريار همتي (1436 ه)، قراءة فنية وأسلوبية في قصيدة "الرائية الكبرى" لعمر بن أبي ربيعة وميزاتها العاطفية، مجلة: بحوث في اللغة العربية، ع12